

الباب الثالث

الإعجاز البياني فى سورة النساء

- * الإعجاز اللفظى
- * الإعجاز الدلالى
- * الإعجاز البيانى

obeikandi.com

الفصل الأول

الإعجاز اللفظي

اللفظ القرآني ودوره في البيان: (دراسة على المعجم اللفظي لسورة النساء):

تقوم الدراسة في هذا الفصل على بيان دلالة اللفظ القرآني في سورة النساء باعتبار أن الكلمة نواة الجملة ولبنة من لبناتها، وبقدر وضوح دلالة الكلمة وإفائها بالمعنى المطلوب ووضعها في المكان المناسب لها يتم البيان ويروق النظام.

قال الرافعي: «أى معنى أعجب من أن تتجاوزك معاني الوضع في ألفاظ القرآن، فترى اللفظ قاراً في موضعه لأنه الأليق في النظم، ثم لأنه - مع ذلك - الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأوسع في الدلالة، ومع ذلك الأحكم في الإبانة، ومع ذلك الأبداع في وحدة البلاغة ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية عما يتقدمه أو يترادف عليه».

ولقد نزلت كلمات القرآن منازلها؛ بحيث لا ترى كلمة زائدة أو حرفاً مضطرباً، وحتى لو استبدلت كلمة منها بمرادف لها لمجت الأذن سماعها، وثقل على اللسان النطق بها وتاه من الجملة بيانها، حتى ارتبطت الجملة بمفرداتها ارتباط أعضاء الإنسان بجسده.

وما وقع في القرآن من ألفاظ غير عربية: فارسية أو رومية أو نبطية أو حبشية كان لها من الإعجاز ما لا يقل عن الكلمات العربية، ولا يسد لفظ عربي مسد لفظ منها (وهي كلمات أخرجتها العرب على أوزان لغتها، وأخرجتها في فصيحها، فصارت بذلك عربية، وإنما وردت في القرآن لأنه لا يسد مسدها إلا أن توضع لمعانيها ألفاظ جديدة على طريقة الوضع الأول، فيكون قد خاطب العرب بما لم يوقفهم عليه، وما لا يدركون بفطرتهم اللغوية وجه التصرف فيه...).

جدول بيان الكلمات التي تناولتها بالدراسة في سورة النساء

رقمها	الآية التي ورد بها	مادته	ط كما ورد في السورة
١١٩	﴿وَلَا مِرَّةًهُمْ فَابْتَغِ كَإِذَا كَفَرْتُمْ﴾	ب ت ك	مكن
١	﴿وَرَبُّكُمْ يَتَّبِعُكُمْ كَوْنًا وَكُنْهُ﴾	ب ث ت	
٧٢	﴿وَرَأَىٰ يَكْفُرًا لِّلَّذِينَ ابْتَغَتْ﴾	ب ط ه	بتن
٧١	﴿فَأَنْفِرُوا فِي الْحَمْرِ وَالسُّمْرِ﴾	ث و ب	ت
٢	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي كَفَرْتُمْ بِهَا﴾	ح و ب	با
٢٣	﴿وَأَمَّا مَن ذُنِبَ لَهُ فَسَإِئِمَّةٌ مِّنْهُمَا فَسَبَّهَا﴾	ر ب ب	بكم
٤٦	﴿وَأَسْمِعْ هَذِينَ هَؤُلَاءِ أَلْسِنَتِهِمْ﴾	ر ع ي	نا
١٠٠	﴿وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْتَقًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾	ر غ م	منا
٨٨	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَقَعَتِ وَاللَّهُ أَزْكَىٰ مِنْكُمْ﴾	ر ك س	سهم
٢٤	﴿وَأَلَيْسَ لَكُم مَّحْصُونٌ مِّنْ عِندِ مُسْتَضْرِبِكُمْ﴾	س ف ح	فحين
٦٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّىٰ يُحْكُمُواكُم فِيمَا سَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	ش ج ر	ر
١٩	﴿يَتَّبِعِ الْآرِبَ أَمَّا لَآ يَجِئُ لَكُمْ أَن تَرَوْا الْعُقَاتِ﴾	ع ض ل	فلوهن
٢٥	﴿وَأَذِّنْ لِمَن تَدْعُو لِكَلِمَاتِكُمْ﴾	ع ن ت	ت

رقمها	الآية التي ورد بها	مادته	اللفظ كما ورد في السورة	٢
٣	﴿ذَلِكَ أَذَىٰ آلَا تَعُولُوا﴾	ع و ل	تعولوا	١٤
٢١	﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾	ف ض و	أفضى	١٥
٣	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ﴾	ق س ط	تقسطوا	١٦
٨٥	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا﴾	ق و ت	مقيتا	١٧
١٢	﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرْتُ كَنَلَّةً أَوْ أَمْرَأَةً﴾	ك ل ل	كلالة	١٨
٨٣	﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾	ن ب ط	يستنبطونه	١٩
٤	﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ مِثْلًا﴾	ن ح ل	نحلة	٢٠
٣٤	﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاحِجِ وَأَضْرَبُوهُمْ﴾	ن ش ز	نشوزهن	٢١
١٧٢	﴿لَنْ يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾	ن ك ف	يستنكف	٢٢

(بث)

في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء - الآية ١].
 البث: النشر والتفريق. وأبثه الحديث؛ أطلعه عليه. والبث: الحزن والغم الذي تفضى به إلى صديقك.
 قال الزمخشري: «ومن المجاز: بثنته ما في نفسى أبثه، وأبثنته إياه، وبأثنته سرى وباطن أمرى إذا أطلعت عليه».
 ولم يرد اللفظ في سورة النساء إلا في هذا الموضع؛ وفي القرآن كله ورد على النحو الآتى:

م	الآية التي ورد بها اللفظ	رقمها	السورة	معنى اللفظ فيها
١	﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾	١٦٤	البقرة	إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه.
٢	﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾	١	النساء	نشر و فرق منهما
٣	﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾	٨٦	يوسف	الذي يبثه عن كتمان فهو مصدر فى تقدير المفعول أو بمعنى غمى الذى بث فكرى. نحو: توزعنى الفكر. فيكون فى معنى الفاعل.
٤	﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾	١٠	لقمان	نشر و فرق وأظهر
٥	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾	٢٩	الشورى	فرق ونشر
٦	﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ﴾	٤	الجاثية	ينشر ويفرق
٧	﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾	٦	الواقعة	غباراً منتشراً متفرقاً
٨	﴿ وَزَرَأِي مُبْتُوئَةً ﴾	١٦	الغاشية	عبارة عن كثرتها
٩	﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ ﴾	٤	القارعة	المهيج بعد سكونه

يتبين لنا من الجدول السابق أن كل ما جاء من مادة (بث) فى القرآن فإنه بمعنى نشر و فرق وفى موقف تحتمل المعنى المجازى لها.

واللفظ في سورة النساء يعنى تفريق المثنور في الحيز الواسع ، ويبين أن التكاثر يبدأ بقلة ثم ينتهى بكثرة ، وكلما امتد البث تنشأ الكثرة ، إذ كلما تقدم العالم إلى المستقبل يكثر ، وكلما تراجع إلى الماضى يقل ويتناقص إلى أن يصل إلى آدم وحواء .
 ومن ثم فإن أى مرادف لهذه الكلمة لا يؤدى ما أدته ؛ فلو وضعنا بدلاً منها (فرق منهما رجالاً كثيراً ونساء) لما أفاد اللفظ الجديد ما أفادته كلمة (بث) إذ التفريق يتحقق بالنشىء الكثير ابتداء ، ولا يفهم منه بدء العالم بالقلة وانتهاءه بالكثرة .

(حوبا)

فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء - الآية ٢].

جاء فى اللسان: الحَوْبُ والحَوْبَةُ: الأبوان ، والأخت ، والبنت . والحَوْبَةُ والحَيْبَةُ : الهمُّ والحزن .. والحَوْبَةُ والحَوْبَةُ : الرجل الضعيف ، وكذلك المرأة .
 والحَوْبُ والحَوْبُ والحَابُّ : الإثم .

وفى مسائل نافع ابن الأزرق عن ابن عباس سئل عن قوله تعالى (حوبا) قال : إثما . قيل له : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، ثم قال لسائله أما سمعت قول الأعشى :

فإنى وما كلفتمونى من أمركم ليُعلم من أمسى أعق وأحوبا

فهو اسم دخيل على اللغة العربية ، استعملته العرب بمعناه الذى كان به فى موطنه (وتسميته بذلك لكونه مزجوراً عنه من قولهم حاب حوبا وحوبا . والأصل فى حوب لزجر الإبل ، وفلان يتحوب من كذا أى يتأثم) .

ومن المعانى السابقة يتبين لنا أنه الاثم الذى يرتكبه الإنسان فى حق المستضعفين من الرجال أو النساء ؛ كأن يقترفه فى حق أبويه أو ذوى رحمه . وهذا من أكبر الكبائر . وقد وصف فى الآية بأنه كبير لزيادة التنفير .

والأمر موجه إلى الأوصياء فى أموال اليتامى . وأى مرادف للفظ (كالإثم) أو (الذنب) لا يؤدى ما أداه اللفظ ؛ فالإثم : هو العمل المحرم . والذنب : الجرم والمعصية . وقد يقترف الإنسان إثماً ويرتكب ذنباً مع من لا تربطه بهم علاقة القرابة ، فلا يكون كما وقع فى حق الأبوين .

ولفظ (حوبا) لم يرد فى القرآن كله إلا فى سورة النساء ، ولم يتردد فى السورة إلا فى هذا الموضع .

(تُقَسِّطُوا)

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْبَنَاتِ مَتَىٰ وَتُكَلِّمَنَّ وَرَبِّعَ ﴿٣﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٣].

قال ابن منظور: أَقْسَطَ يُقْسِطُ، فهو مُقْسِطٌ؛ إذا عدل. وَقَسَطَ يَقْسِطُ فهو قَاسِطٌ إذا جار. فكأن الهمزة في (أقسط) للسلب.

والله يقبض ويبسط، ويُقْسِط ولا يَقْسِطُ، وأمر بالقِسط ونهى عن القَسْط. ولفظ (تقسطوا) في الآية الكريمة من أقسط يُقْسِط إذا عدل.

وأما (قَسَطَ) يَقْسِطُ فهو قَاسِطٌ إذا جار وظلم. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الجن - الآية ١٥].

والهمزة في (أقسط) حولت المعنى من الجور والظلم إلى العدل كما تقول: فلان أعجم الكتاب؛ أي أزال عجمته.

وإذا وقع العدل ابتداءً كان قِسطاً (بكسر القاف)

قال تعالى: «قل أمر ربي بالقسط». وإذا كان بعد جَوْرٍ ثم أُزِيلَ كان إقسطاً. ومن ثم فإن اللفظ (تُقَسِّطُوا) في الآية يشير إلى أن اليتامى وقع عليهم ظلم شديد في الجاهلية، وتعمل السورة جاهدة على إزالته. وعليه فإن أى مرادف للفظ لا يؤدي معناه، ولا يؤرخ لحال اليتامى قبل الاسلام.

واللفظ منقول إلى العربية من الرومية وهو عندهم بمعنى العدل. وقد جاءت هذه المادة في القرآن في مواضع متعددة، وفي السورة وردت على النحو التالي:

م	الآية التي ورد بها اللفظ	رقمها	معنى اللفظ فيها
١	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾	٣	ألا تعدلوا وتنصفوا
٢	﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾	١٢٧	بالعدل في الميراث والأموال
٣	﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُورًا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ﴾	١٣٥	بالعدل

(تعولوا)

فى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ آلَا تَعُولُوا﴾ [سورة النساء - الآية ٣].
العَوْلُ: الميل فى الحكم إلى الجور، والعَوْلُ: النقصان، وعال الميزان عولاً فهو عائل
بمعنى مال.

وجاء فى مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ آلَا تَعُولُوا﴾ [سورة النساء - الآية ٣] قال: أجدى ألا تميلوا. قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال
ابن عباس: أما سمعت قول الشاعر:

إنا تبعنا رسول الله وأطرحوا قول النبى وعالوا فى الموازين

ومن ثم فإن التخويف من الميل إلى الجور فى الآية وليس من الجور نفسه، ويصبح
المعنى: ذلك أقرب ألا تميلوا إلى الجور فتُنقصوا بعض نساكنكم حقوقهن. وهذا المعنى يفيد
التشديد والتخويف من الجور والمبالغة فيه، وقد أفاد لفظ (تعولوا) كل هذه الجوانب من
المعنى.

وقد نُقل عن الشافعى - رضى الله عنه - أنه قال: ذلك أدنى ألا تعولوا معناه؛ ذلك
أدنى ألا تكثر عيالكم. وقد خطووه فى ذلك لغوياً؛ لأنه لو قيل: ذلك أدنى ألا تعيلوا لكان
ذلك مستقيماً.. قال الراغب الأصفهانى: عال الرجل إذا افتقر. يعيل عيلة فهو عائل،
وأما أعال إذا كثر عياله فمن بُنات الواو.

وقد اعتذر للإمام الشافعى بأنه ربما أشار إلى الشىء بذكر لوازمه؛ لأن كثرة العيال
تستلزم العيل والجور فيجعلها كناية عنه. ومن المشهور أن طاووساً كان يقرأ - شاذاً - ذلك
أدنى ألا تعيلوا.

فإذا أخذنا بالرأى القائل أن (تعولوا) بمعنى تميلوا إلى الجور فإن أى مرادف لهذا اللفظ
لا يسد مسده، فإذا قلنا: ذلك أدنى ألا تظلموا، فإن ذلك يكون تخويفاً من الظلم نفسه
لا من الميل إليه - كما أفاد - (تعولوا).

ولم يتردد اللفظ فى القرآن كله بصيغة المضارع إلا فى هذا الموضع من سورة النساء.

وجاء على صيغة اسم الفاعل فى "الضحى" فى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [سورة الضحى - الآية ٨].

وأما فى التوبة فقد جاء على صيغة المصدر فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ

يُعْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٢٨﴾ [سورة التوبة - الآية ٢٨] ويفهم من اللفظ في سورة النساء أنه تخويف من الميل إلى الجور مع اليتيمات؛ وذلك بالزواج من غيرهن إذا خيف الجور معهن أو الميل إليه. ومع الزوجات إلى أربع بالزواج من واحدة فقط، إذا خيف الميل إلى الجور معهن. وهذا يبين مدى اهتمام السورة بشأن هؤلاء جميعاً، وأن إيقاع الظلم بهن ذنب عظيم وجرم كبير.

ولم يرد اللفظ في سورة النساء إلا في هذا الموضع. وجاء في الإتقان أن لفظ تعولوا بمعنى تميلوا بلغة جرهم.

(نِحْلَةٌ)

في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [سورة النساء - الآية ٤].
 نِحْلُ الْمَرْأَةِ: مهرها، والاسم: النِحْلَةُ، تقول: أعطيتها مهرها نِحْلَةً إذا لم تطلب منها عوضاً. وجاء في أساس البلاغة وهذا نُحْلٌ منى ونِحْلَانٌ ونِحْلَةٌ وهو العطاء بغير عوض.
 وقال الراغب: النُّحْلَةُ والنِّحْلَةُ (بفتح النون وكسرهما) عطية على سبيل التبرع، وهو أخص من الهبة، إذ كل هبة نِحْلَةٌ وليس كل نِحْلَةٌ هبة، واشتقاقه - فيما أرى - أنه من النُّحْلِ، نظراً إلى فعله فكان (نِحْلَتَهُ) أعطيته عطية النحل، وذلك ما نبّه عليه قوله تعالى: «وأوحى ربك إلى النحل».

وسمى الصداق بها من حيث إنه لا يجب في مقابلته أكثر من تمتع دون عوض مالي. والحقيقة أن الرجل إذا كان يجد في زوجته فإنها تجد منه كذلك؛ إذ المنفعة بينهما مشتركة، وهو يطلب ولدًا وهي تطلبه، ولكن الله كرم المرأة، فجعل صداقها من الرجل بدون مقابل منها، ولها حرية التصرف في هذا الصداق.

وقد قيل: إن معنى نِحْلَةٌ شرعة وديانة. فإذا كانت (نِحْلَةٌ) بمعنى عطية من غير عوض، فالخطاب - حينئذ - يكون موجهاً للأزواج، بمعنى: أعطوهن صدقاتهن ناحلين إياهن نِحْلَةً، أي دون مقابل.

وإذا كان اللفظ بمعنى شرعة وديانة، فإن الأمر - حينئذ - يكون موجهاً للأوصياء الذين كانوا يأخذون مهور من يلون أمورهن من اليتيمات في الجاهلية، ومن ثم فإن أي لفظ من مرادفات لفظ (نِحْلَةٌ) لا يقوم مقامه ولا يصلح مكانه كما كان لهذا اللفظ.

ولم يرد اللفظ في السورة إلا في هذا الموضع؛ وما ورد في القرآن كله إلا في هذه السورة،

وهو عربى وقع بغير لغة الحجاز إذ ينتمى إلى قبيلة (قيس عيلان) وهو بمعنى فريضة.

(كلالة)

فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ (١٣) [سورة النساء - الآية ١٢].

الكلُّ: الذى لا ولد له ولا والد، يقال منه: كلَّ الرجل يكلُّ (بالكس) كلالة. والكلالة بنو العم الأبعد، وهى مصدر من تكالته النسب، أى تطرفه كأنه أخذ طرفه من جهة الوالد والولد، فليس له منهما أحد، فسمى بالمصدر. والعرب تقول: هو ابن عم الكلالة، وابن عم كلالة؛ إذ لم يكن لِحاً، وكان رجلاً من العشيرة.

والكلُّ: بمعنى العبد؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبَتُكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَكُلِّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ (٧٦) [سورة النحل - الآية ٧٦]. وكَلَّتِ الرحم بين فلان وفلان؛ إذا تباعدت القرابة، وحمل فلان على فلان ثم كلَّ عنه؛ إذا تباعد.

وقد يطلق لفظ الكلالة ويراد به الوارث كقول الشاعر:

والمرء يبخل بالحقوق وللكلالة ما يُيسم

من أسام الإبل إذا أخرجها للعرى. ولم يقصد الشاعر بما ظنه هذا، وإنما خص الكلالة ليزهد الإنسان فى جمع المال، لأن ترك المال له أشد من تركه للأولاد. وتنبهنا أن من خلفت له المال فجار مجرى الكلالة، وذلك كقولك ما تجمعه فهو للعدو. ودليل معنى الكلالة الوارث؛ ما روى عن جابر قال: مرضت مرضاً أشفيت منه على الموت، فأتانى النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله إنى رجل لا يرثنى إلا كلالة، وأراد بذلك أنه ليس له والد ولا ولد.

وقد يراد باللفظ الموروث ومنه قول الفرزدق:

ورثتم قناة المجد لا عن كلالة عن ابني مناف عبد شمس ونوفلا

ومعناه: أنكم ما ورثتم الملك عن الأعمام، بل عن الآباء، فسعى العم كلالة.

وجاء فى مفردات الراغب: الكلالة؛ مصدر يجمع بين الوارث والموروث جميعاً، وتسميتها بذلك إما لأن النسب كلُّ من اللحوق به، وإما لأنه قد لحق به بالعرض من أحد طرفيه، وذلك لأن الانتساب ضربان، أحدهما: بالعمق كنسبة الأب والابن، والثانى

الأوصياء: وكانوا يمنعون من يتولون أمورهن من النساء الزواج للانتفاع بمالهن.
والعضل بمعنى الحبس في لغة أزد شنوءة، وهو من الألفاظ التي وقعت في القرآن بغير
لغة الحجاز.

(أفضى)

في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [سورة النساء - الآية ٢١].
الفضاء: المكان الواسع من الأرض. وفضا المكان، وأفضى إذا اتسع، ويقال: أفضت
إذا خرجت إلى الفضاء، وأفضيت إلى فلان بسرى، وأفضى فلان إلى فلان أى وصل إليه.
وأصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه. وأفضى الرجل: دخل على أهله، وأفضى إلى
المرأة: غشيها.

قال الراغب الأصفهاني: وأفضى إلى امرأته في الكناية أبلغ وأقرب إلى التصريح من
قولهم خلا بها.

يتبين لنا مما سبق أن اللفظ في الآية يحمل المعاني الآتية:

أفضى بعضكم إلى بعض: اختليتم في مكان واحد. وذلك للرجل وزوجه.
أفضى بعضكم إلى بعض: باشر الرجل زوجه وغشيها. وقد رتب الفقهاء على ذلك
أحكاماً:

على المعنى الأول قرر بعض الفقهاء أن من حق الزوجة كل المهر بمجرد الخلوة
الصحيحة.

وعلى المعنى الثاني. فإن الرجل إذا طلق قبل أن يمس زوجته له أن يرجع في نصف
المهر وإن خلا بها.

إلا أن الفخر الرازي يرى أن (أفضى) في هذه الآية بمعنى جامع، ويعلل ذلك بقوله:
لأن أفضى فلان إلى فلانة. صار في فرجتها وفضائها. وذلك لا يكون إلا في الجماع. وقد
ذكر الله ذلك في معرض التعجب، والتعجب إنما يتم إذا كان هذا الإفضاء سبباً قوياً في
حصول الألفة والمحبة، وهو الجماع لا مجرد الخلوة. فوجب حمل الإفضاء عليه. والحرف
(إلى) لانتهاه الغاية. ومجرد الخلوة ليس كذلك لأن عند الخلوة المحصنة لم يصل فعل من
أفعال واحد منهما إلى الآخر. فلا يكون معنى الإفضاء إلا باشر وجامع.

وهذا هو الرأى الذى أميل إليه ، وأن (أفضى) فى الآية الكريمة بمعنى باشر وجامع لما ذُكر من أسباب.

ويلاحظ أن اللفظ (أفضى) لم يرد فى القرآن كله إلا فى سورة النساء، وما تردد فى السورة سوى هذا الموضع. وهو لفظ عربى بلغة خزاعة؛ بمعنى الجماع.

(ربائب)

فى قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٣].

جاء فى الصحاح: رَبٌّ ولده من باب رَدٌ، ورببه وتربيته بمعنى؛ أى رباه. وربيب الرجل: ابن امرأته من غيره، وهو بمعنى مربوب والأنثى ربيبة.

والربيبة: واحدة الربائب من الغنم التى يرببها الناس فى البيوت لألبانها. وغنم ربائب؛ تُربط قريباً من البيوت وتعلف لا تسام. والربوب والربيب بمعنى مربوب وهو ابن امرأة الرجل من غيره. ويقال لزوج الأم لها ولد من غيره، ويقال لامرأة الرجل إذا كان له ولد من غيرها، والرجل نفسه يقال له رابٌّ.

فاللفظ فى الآية؛ يقصد به بنات المرأة ليسوا من زوجها الحالى، لكنه يقوم بتربيتهن ورعايتهن، فصرن منه بمنزلة البنات الصُّلبية.

وقد علق الفقهاء على هذا المعنى حكماً؛ بأن بنت زوجته إذا لم تكن فى تربيته فله أن يتزوجها، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: ﴿فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ﴾ فقوله: فى حجورك، يقتضى أنه من ليست فى حجره وتربيته وكفالتة فله أن يتزوجها، ولا يقال لها ربيبة، واحتجوا - أيضاً - بما روى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: الربيبة إذا لم تكن فى حجر الزوج وكانت فى بلد آخر، ثم فارق الأم بعد الدخول، فإنه يجوز له أن يتزوج الربيبة محتجاً بقوله تعالى: ﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾.

والجمهور على تحريم الربيبة سواء كانت فى حجر الزوج أم لم تكن كذلك. وقد بيَّنت ذلك فى باب الدراسة الفقهية.

على أن لفظ ربائب ومادته بالمعنى السابق لم يرد فى القرآن كله إلا فى سورة النساء ولم يتردد فى السورة إلا فى هذا الموضع فهو من معجمها.

(مسافحين)

فى قوله تعالى: ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٤] السفح: عرض الجبل، حيث يسفح فيه الماء، وقيل أصله؛ والجمع سفوح، ويطلق السفح على الصخور اللينة المنزلة. وسفح الدمع: أرسله. والسفح للدم كالصب. والتسافح والسفاح والمسافحة: الزنى والفجور. والمسافحة: الفاجرة، والرجل السفاح على ثلاثة أوجه:

السفاك للدماء؛ لأن يقتله الناس الكثر؛ يجعل دماء كثيرة تسيل.

أو المعطاء؛ دلالة على عطائه الكثير.

أو الرجل الفصيح؛ أى ذلق اللسان الذى يتكلم كلاما كثيرا فيما يفيد.

وسافحها مسافحة: زانها، لأن كل واحد منهما يسفح ماءه ويضعه. وفى النكاح غنى عن السفاح.

وقد سمي الزنى سفاحاً؛ لأنه من غير عقد، كأنه بمنزلة الماء المصبوب الذى لا يحبسه شيء، وكل واحد منهما دفق ماءه بلا حرمة أباحت دفته.

وجاء اللفظ فى القرآن الكريم فى أربعة مواضع؛ ثلاثة منها كناية عن الزنى، وواحدة بمعنى إهراق الدم على النحو التالى:

م	الآية التى ورد بها اللفظ	رقمها	السورة	معنى اللفظ فيها
١	﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾	٢٤	النساء	غير زانين
٢	﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ﴾	٢٥	النساء	غير مجاهرات بالزنا
٣	﴿وَإِذَا مَا اتَّيَسَّرَ لَهُنَّ أَجُورُهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾	٥	المائدة	غير مجاهرين بالزنا
٤	﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾	١٤٥	الأنعام	سائلاً مهراقاً

(العنت)

فى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٥].

العنت: دخول المشقة على الإنسان ولقاء الشدة، ويكون بمعنى الهلاك. وأَعْنَتَهُ: أوقعه فى الهلكة.

والعنت: الزنا والهلاك فيه. وأصله انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة وضرر. واختص لفظ العنت من بين الألفاظ التى وردت بمعناه فى القرآن بأن أضيف إلى الزنا، والآية تصف العلاج للذين لا يستطيعون نكاح الحرائر فينكحون الإمام إذا خافوا الوقوع فى الهلكة بارتكاب الزنا، أو خافوا على أنفسهم عنتاً من شدة الإربة التى تؤدى إليه، أو خافوا حد الزنا فى الدنيا والعقاب المترتب عليه فى الآخرة، أو خشوا عنتاً يكون بسبب تأنيب الضمير بما ارتكبوا.

وأى مرادف للفظ (العنت) لا يؤدى ما أذاه ولا ينسجم مع النظم فى الآية؛ فلو وضعنا لفظاً من مرادفاته كالمشقة - مثلاً - لأحدث خللاً فى نظم الآية، فلفظ (المشقة) يكون مسبوqاً بالفعل (خشى) فيتكرر فى اللفظين حرف واحد هو الشين، مما يحدث ثقلاً فى النطق، وخللاً فى النظم. فضلاً عن أنه لا يؤدى ما أذاه لفظ (العنت) من معنى فى الآية. واللفظ عربى بلغة هذيل، وهو عندهم بمعنى الإثم.

وقد ورد لفظ العنت فى القرآن الكريم على النحو التالى:

م	الآية التى ورد بها اللفظ	رقمها	السورة	معنى اللفظ فيها
١	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٢٠	البقرة	كلفكم ما يشق عليكم
٢	﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ حَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾	١١٨	آل عمران	أحبوا مشقتكم الشديدة
٣	﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾	٢٥	النساء	خاف الزنا أو الإثم بالوقوع فيه

م	الآية التي ورد بها اللفظ	رقمها	السورة	معنى اللفظ فيها
٤	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٨	التوبة	عننكم ومشقتكم
٥	﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾	٧	الحجرات	لأثمتم وهلكتم

(نشوزهن)

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضَرُّوهُنَّ﴾ [سورة النساء - الآية ٣٤].

النَّشْرُ والنَّشْرُ: المتن المرتفع من الأرض، ونَشْرُ الشيء ينشُرُ نشوراً: ارتفع. ونشز في مجلسه ينشِز وينشِز (بالكسر والضم) ارتفع قليلاً، وانشاز عظام الميت: رفعها إلى مواضعها، وتركيب بعضها إلى بعض. والنشوز بين الزوجين: كراهة كل واحد منهما صاحبه. ولفظ (نشز) في الآية هو خوف استعلاء الزوجة على زوجها، وادعاؤها الفضل عليه لمالها أو تدللها بجمالها، أو حسبيها. لذا فإن الأمر للأزواج بموعظتهن بالحسنى أولاً، وتذكيرهن بحقوق الزوج، فإن استجابت الزوجة فبها، وإلا فيهجرها في مضجعها وحرمانها - مؤقتاً - من داعية التزوج لتثوب إلى رشدها وتعلم فضله عليها.

لكن من النساء من لا يعترفن إلا بسلطان القوة والقهر؛ فالأمر يوجه حينئذ بضربهن ضرباً غير مبرح؛ لإحكام القوامة عليهن. وإن فشلت كل الأساليب السابقة فيكون، استدعاء حكم من أهله وحكم من أهلها للإصلاح بينهما.

والجدول التالي يبين ما جاء من مادة (نشز) في القرآن كله وبيان معناها في كل:

م	الآية التي ورد بها اللفظ	رقمها	السورة	معنى اللفظ فيها
١	﴿وَأَنْظِرْ إِلَى الْعَظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لِحْماً﴾	٢٥٩	البقرة	نرفعها من الأرض لنؤلفها

م	الآية التي ورد بها اللفظ	رقمها	السورة	معنى اللفظ فيها
٢	﴿وَالَّذِي نَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فِعْظُهُمْ رَبِّ وَأَهْبَتُهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرَبُوهُمْ﴾	٣٤	النساء	تَرْفَعُهُنَّ عَنْ مَطَاوِعِكُمْ
٣	﴿وَإِنَّ أُمَّرَأَةً حَافَتٍ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾	١٢٨	النساء	تَجَافِيًا عَنْهَا ظَلَمًا
٤	﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَاَنْشُرُوا﴾	١١	المجادلة	انْهَضُوا لِلتَّوَسُّعَةِ أَوْ لِعِبَادَةِ أَوْ لِحَيْرٍ

(راعنا)

فسى قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيَأْتِيَ بِلِسَانِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [سورة النساء - الآية ٤٦].
 أرعنى سمعك، وراعنى سمعك: أى استمع إلى، وأرعيت فلاناً سمعي: إذا استمعت إلى ما يقول وأصغيت إليه. ورؤى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن (راعنا) سبٌ بلسان اليهود، وهى كلمة كان يذهب بها اليهود - عليهم اللعائن - إلى سبِّ النبي ﷺ اشتقوه من الرعونة بمعنى الحمق، وقيل: إنه يشبه كلمة سبٌ عندهم عبرانية أو سريانية وهى (راعينا)، وقيل: بل كانوا يشبعون كسر العين ويعنون لعنهم الله أنه - وحاشاه - من خَدَمِهِم ورعاة غنمهم. وقد كانوا يقولون ذلك مظهرين الاحترام والتوقير، مضميرين ما يستحقون به جهنم وبئس المصير. ولذا فإن الله - تعالى - نهى المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين قصدهم الحسن وقصد اليهود السيئ، والنهى سد للذريعة. وأمروا أن يقولوا (انظرننا) لخلوه عن ذلك الاحتمال الملزوم، وهو من النظر أو الانتظار، وقيل: إنما نهى المسلمون عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير.

ولم يرد اللفظ فى القرآن خلا هذا الموضع، إلا فى سورة البقرة فى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَعْمَلُوا رَاعِنًا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [سورة البقرة - الآية ١٠٤] واللفظ - فى آية النساء - يبين نوايا اليهود السيئة، ويهتك أسرارهم وما يضمرونه للنبي ﷺ ومن ثم لا يستطيع لفظ من مرادفاته أن يؤدى معناه الذى قصده اليهود.

(شَجَر)

فى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ٦٥] شجر بين القوم: أى اختلف الأمر بينهم. وبابه تداخل ودخل؛ واشتجر القوم وتشاجروا: تنازعا، والمشاجرة: المنازعة.

ومعنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٦٥] أى فيما وقع الاختلاف فى الخصومات حتى اشتجروا وتشاجروا: أى تشابكوا مختلفين.. وكل ما تداخل فقد تشاجر واشتجر حتى قيل لخشبات اليهودج شجار؛ لتداخل بعضها فى بعض. قال أبو مسلم الأصفهاني: وهو مأخوذ عندى من التفاف الشجر، فإن الشجر يتداخل بعض أغصانه فى بعض.

ولم يرد اللفظ فى القرآن كله إلا فى هذه السورة، وما تردد فى السورة إلا فى هذا الموضع منها فهو من الألفاظ الخاصة بالسورة. وأى مرادف له لا يؤدى ما أداه اللفظ.

(ثُبَات)

فى قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [سورة النساء - الآية ٧١] ثبات: جماعات متفرقة، واحدها ثبة (بضم الثاء وفتح الباء). قال صاحب اللسان: الثبة: العصبه من الفرسان، والجمع ثبات وثبون وثبون (بضم الثاء فى الثانية وكسرها فى الأخيرة)، وتصغيرها ثبيبة، والثبة والأثبية: الجماعة من الناس. وَثَبَيْتُ الْجَيْشَ؛ إِذَا جَعَلْتَهُ ثَبَةً ثَبَةً. والثبة وسط الحوض الذى يثوب إليه الماء. والهاء عوض عن الواو الذاهبة من وسطه لأن أصلها ثوب.

وجاء فى معترك الأقران أن (ثبات) جمع ثبة، أى جماعات متفرقة حلقة حلقة كل جماعة منها ثبة، ووزنها فعلة بفتح العين، ولامها محذوفة. وقيل: إن الثبة ما فوق العشرة. وقوله: «فانفروا ثبات» أى اخرجوا للجهاد جماعات متفرقة أو جماعات فيها إشارة إلى السرايا، فمن خرج بها فهو كالمجاهد. قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلاف سرية»^(١).

(١) صحيح مسلم رقم (١٨٦٧)

واللفظ (انفروا) بمعنى: اغزوا بلغة هذيل.

ولم يرد لفظ (ثبات) في القرآن كله إلا في سورة النساء وما تردد فيها إلا في هذا الموضع منها، فهو من معجمها.

(لِيَبْطِئَنَّ)

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْطِئَنَّ﴾ [سورة النساء - الآية ٧٢].
الإبطاء: ضد الإسراع، جاء في اللسان: البطء والإبطاء نقيض الإسراع، تقول بطؤ مجيئك، وبطؤ في مشيه يبطؤ ببطاً وإبطاء وتباطأ وهو بطيء.
ويكون الفعل (بَطُؤَ) لازماً ومتعدياً، فلك أن تقول ما أبطأك عنا، على أنه لازم، ويجوز بطأت فلانا على كذا، أي أخرته فهو متعدٍ.
وقد قصد به في الآية الكريمة المعنيان، لأنها في المنافقين الذين كانوا يتأخرون عن القتال ويتباطئون عنه خوفاً على أنفسهم من الموت وملاقاة العدو، ثم هم يُتَّبَطُونَ هِمَمَ غيرهم؛ فيؤخرونهم عن القتال. واللام التي بها للقسم؛ تأكيداً لتأخرهم عن القتال. وشدت الطاء والنون (حرفان في كلمة واحدة) لتدل على ثقل الحركة ومحاولاتهم المتكررة في تثبيط هم المحاربين.
واللفظ من معجم ألفاظ السورة لأنه لم يتكرر في القرآن إلا في هذا الموضع منها.

(يَسْتَنْبِطُونَهُ)

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٨٣].
النبيط: الماء الذي ينبط من قعر البئر الذي حفر، وأنبطنا الماء: استنبطناه وانتهينا إليه، واستنبطه واستنبط منه علماً وخيراً ومالاً: استخرجه. واستنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه.
و (منهم) في الآية لابتداء الغاية يتعلق بالفعل. والضمير المجرور يعود إلى الرسول ﷺ وأولي الأمر. وقيل: إن الذين يستنبطونه هم أولو الأمر؛ والضمير المجرور عائد عليهم.
و (منهم) لبيان الجنس ويكون استنباطهم - على هذا - هو سؤالهم عنه النبي ﷺ أو بالنطق والبحث.

وعلى التأويل الأول فإن استنباطه ؛ هو سؤال الذين أذاعوه للرسول ﷺ ولأولى الأمر.
واللفظ من معجم ألفاظ السورة؛ لأنه ما ورد فى القرآن إلا فيها وفى هذا الموضع
منها بالذات.

(مقيتا)

فى قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ سَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ سَفْعَةً سَيِّئَةً
يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٨٥].

مقيتا: مشتقة من القوت؛ وهو ما يمسك الرمق من الرزق، وما يقوم به بدن
الإنسان من الطعام. يقال: ما عنده قوت ليلة، وقيت ليلة. فلما كُسرت القاف
صارت الواو ياء.

والمقيت من أسماء الله تعالى؛ بمعنى الحفيظ المقتدر الذى يعطى أقوات الخلائق. وهو
من أقاته يقيته إذا أعطاه قوته.

وأقاته - أيضاً - إذا حفظه. وعلى هذا المعنى فالمقيت هو الحفيظ الذى يعطى الشىء
على قدر الحاجة.

وقد جاء فى مسائل نافع ابن الأزرق عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن مقيتا؛
بمعنى قادر مقتدر، واستشهد على ذلك بقول أحيحة الأنصارى:

وذى ضغن كفتت النفس عنه وكننت على إساءته مقيتا

فكلمة مقيتا ذات معنيين؛ الأول من أقاته يقيته إذا أعطاه قوته.

والثانى: الحفيظ الذى يعطى الشىء على قدر الحاجة.

وفى الآية - على المعنى الأول - أنه تعالى قادر على إيصال النصيب والكفل من الجزاء
إلى الشافع والمشفوع فيه، خيراً أو شراً غير منقوص.

وعلى المعنى الثانى: أنه تعالى حافظ الأشياء، وشاهد عليها، لا يخفى عليه شىء
من أحوالنا؛ فهو عالم بأن الشافع يشفع فى حق أو باطل حفيظ عليه فيجازى كلاً
بما علم منه.

واللفظ (مقيتا) بمادة (قوت) لم يرد فى القرآن كله إلا فى سورة النساء وما جاء فيها
إلا فى هذا الموضع فهو من معجمها.

(أركسهم)

فى قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئْتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [سورة النساء - الآية ٨٨] الرُّكْسُ: شبيهه بالرجيع، وقد أتى النبى ﷺ بروث فى الاستنجااء فقال: «إنه رُكْسٌ»^(١). ويقال: ركست الشيء وأركسته إذا رددته ورجعته. والرُّكْسُ: قلب الشيء على رأسه، أو ردَّ أوله على آخره، رُكْسَهُ، يركسه ركساً فهو مركوس وركيس. والارتكاس: الارتداد، وارتكس فلان فى أمر كان نجا منه.

والآية فى وصف المنافقين وبيان جزائهم، وأنه - تعالى - رَدَّهُم إلى أحكام الكفار من الذل والصغار والسبى والقتل بما كسبوا، أى بما أظهرها من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق. وأى لفظ لـ (أركسهم) لا يؤدى معناه، ولا يقوم مقامه، ذلك لأننا لو جعلنا بدلاً منه لفظ (أرجعهم) أو (ردهم)، لما بيّن أى من اللفظين الحالة التى رُدَّ إليها المنافقون. وأنهم رجعوا إلى الكفر، ولكن اللفظ (أركسهم) يخبر عن عودتهم إلى الكفر ويبين حالهم أثناء العود إلى الذل والامتهان والوضاعة، وأنه لا قيمة لهم إلا أنهم صاروا كالرجيع فى ارتدادهم. ولم يرد اللفظ فى القرآن كله إلا فى سورة النساء وجاء فى موضعين منها: الأول فى الآية التى بين أيدينا.

الثانى: فى قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءآخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ [سورة النساء - الآية ٩١]. وقد استخدم العرب هذا اللفظ بمعنى (الحبس). ففى مسائل نافع بن الأزرق التى سأل ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: أخبرنى عن قوله تعالى: (أركسهم) قال: حبسهم، أما سمعت قول أمية:

أُرْكَسُوا فى جهنم إنهم كما نوا عتاة تقول كذباً وزراً

(مراغما)

فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فى الْأَرْضِ مُرَاعَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ [سورة النساء - الآية ١٠٠].

الرُّعَامُ: (بالفتح) التراب، وأرغم الله أنفه: ألصقه بالرَّغَام. والمراغمة: المغاضبة. يقال:

(١) صحيح. البخارى رقم (١٥٦). وانظر أحكام القرآن لابن العربى ٦/ ١٤٢

راغم فلان قومه؛ إذا نابذهم وخرج عليهم، ومنه حديث أسماء: إن أمتي قدمت عليّ راغمة أفصلها؟ قال: نعم. تريد أنها قدمت غضبي لإسلامي وهجرتي، أو كارهة مجيئها إلى لولا مسيس الحاجة.

والمراغم: المذهب والمهرب، والمتطول في حال هجرة؛ وهو اسم الموضع الذي يراغم فيه، وقد سمي مهاجراً ومراغماً؛ لأن الرجل كان إذا أسلم عادى قومه، وهجرهم فسُمي خروجه مراغماً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِماً﴾، أى يجد عزة ومنعة وخيراً ونعمة، مما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الذين كانوا سبباً فى خروجه بما يجعلهم يأسون ويأسفون من معاملتهم له وهو بينهم. يؤيد ذلك - فى نظرى - قوله (وسعة) بعد مراغماً، فالسعة إما أن تكون سعة فى الرزق، أو سعة فى الأرض بمفارقة أعدائه، أو سعة ومتنفساً فى دينه؛ بإقامة شعائره دون خوف أو ضيق.

واللفظ (مراغما) من ألفاظ سورة النساء الخاص بها لأنه ما ورد فى القرآن إلا فيها، ولا ترد فيها إلا فى هذه الآية.

واللفظ (مراغما) بمعنى: متنفساً بلغة هذيل كما روى عن ابن عباس وقد استشهد لذلك بقول الشاعر:

وأترك أرض جهرة إن عندى رجاءً فى المراغم والتعادى

(فَلْيَبْتَكَنَّ)

فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُضِلَّهُمْ وَلَا صُلَبَهُمْ وَلَا مِثْقَلُهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ إِذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ [سورة النساء - الآية ١١٩].

البِتْكَ: القطع. ورؤى عن الليث؛ أنه قطع الأذن من أصلها، وبِتْكَ الآذان؛ قطعها، والأصل فيه أن تقبض على شيء بيدك كشعر أو ريش أو نحو ذلك، ثم تجذبه إليك حتى ينقطع فينبتك من أصله وينتف؛ وكل طائفة صارت فى يدك من ذلك اسمها بتكة. وسيف باتك أى صارم. قال الواحدي: التبتيك - ما هنا - هو قطع آذان البحيرة بإجماع المفسرين؛ وذلك أنهم كانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن، وجاء الخامس ذكراً، وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها. وقال آخرون: المراد أنهم يقطعون آذان الأنعام نُسكاً فى عبادة الأوثان.

ومن مرادفات البتك: البت، ولكنه يقال في قطع الحبل والوصل - كما يقول الراغب الأصفهاني - ويقال: طلقت المرأة بتةً وبتلةً، وبتتُ الحكم بينهما. وروى: لا صيام لمن لم يبت العزم من الليل.

وعليه فإن البت، وهو المرادف للبتك لا يصلح في هذا الموضع من الآية الكريمة؛ إذ لا يعنى القطع والشق معاً، فاللفظ (بتك) في موضعه يحتمل معنى القطع. ويحتمل شق الأذن. لأنهم كانوا يشقون آذان الأنعام تقرباً للآلهة، أو تمييزاً لها عن غيرها، مما لم تلد خمسة أبطن وجاءت في الخامسة بذكر. وقد شددت التاء وألحق باللفظ نون التوكيد الثقيلة، لبيان كثرة فعلهم ومبالغتهم في القطع أو الشق. ولم يرد لفظ (فليبتكن) في القرآن كله إلا في هذا الموضع من سورة النساء فهو من معجمها.

(يَسْتَنْكِفُ)

في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة النساء - الآية ١٧٢].

النكف: تنحيتك الدمع عن خديك بأصبعك، تقول: نكفت الدمع أنكفه نكفاً إذا نحيته عن خدك بإصبعك.

وغيث لا ينكف: لا ينقطع، ونكف الرجل عن الأمر (بالكسر) نكفاً واستنكف: انف وامتنع، ورجل نكف: يستنكف منه.

والمفسرون يقولون: الاستنكاف والاستكبار واحد، ومعنى: لن يستنكف - في الآية - لن يستكبر أو يمتنع فاللفظ في الآية مأخوذ من النكف وإمناع الدمع عن الخد.

ولا يستطيع لفظ (يستكبر) وهو مرادف (يستنكف) أن يؤدي ما أداه ذلك؛ لأن الاستكبار هو التعاطف والتعالي. والمتحدث عنه نبي، ولا يليق لفظ (يستكبر) في مقام النبوة وخاصة على الله تعالى.

والآية نزلت في وفد نجران الذين قالوا للنبي ﷺ: لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى. قال: وأي شيء قلت؟ قالوا: تقول إنه عبد الله ورسوله. قال: إنه ليس بعار أن يكون عبداً لله.

وهذه الآية إشارة إلى حكاية شبهتهم بالإجابة عنها، وذلك أن الشبهة التي عولوا عليها

فى إثبات أنه ابن الله ، هو أنه كان يخبر عن المغيبات ، ويأتى بخوارق العادات من الإحياء والإبراء ، فكأن الله - تعالى - يقول لهم : لن يستنكف المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة أن يكون عبدا لله تعالى.

وقد تردد اللفظ فى السورة فى معرض الرد على النصارى ثلاث مرات : مرتين فى الآية ١٧٢ بصيغة المضارع ، ومرة فى الآية ١٧٣ بصيغة الماضى لتأكيد عدم استنكاف السيد المسيح عن عبادة الله وبيان جزاء من يستنكف عن عبادته تعالى ويستكبر. وما ورد اللفظ فى القرآن الكريم إلا فى سورة النساء.

□□□

الفصل الثانى

الإعجاز الدلالى تراكيب سورة النساء

تركيب الجملة (الآية) فى سورة النساء:

دراسة للتراكيب فى سورة النساء، وعلاقة كل تركيب بما قبله وما بعده، وعلاقة السورة بما قبلها وما بعدها من السور؛ إذ إن التركيب فى القرآن من أسرار إعجازه. وهذه الدراسة تتصل اتصالاً وثيقاً بدراسة الكلمة أو اللفظ القرآنى الذى هو أساس الجملة ونواتها؛ إذ أن الجملة القرآنية مؤلفة من كلمات وحروف وأصوات يستريح لها السمع، ويهدأ لها القلب، ويتملاها العقل بالنظر والتأمل لما فيها من نظم رائع وأداء محكم؛ فأحياناً تفيد الجملة القرآنية معنى متكاملأ بأقل عبارة دون خلل فى التركيب أو ضعف فى الأداء، وأحياناً تطول الجملة وتتردد الكلمة الواحدة فيها فترسخ فى الأذهان دون ملل أو سأم، وحينما تتصافر الكلمات والحروف فى الجملة القرآنية لتثبت فى المعنى حركة وروحا فيستحيل المعنوى إلى محسوس له صفات الكائن الحى.

ومن ثم فإن هذا الفصل دراسة لتراكيب السورة؛ باعتبار الآية جملة من حيث أحوال الإسناد الخبرى، وأحوال المسند، والمسند إليه، ومتعلقات الفعل، والقصر، والإنشاء، والإيجاز، والاطناب، والمساواة، وكلها من أبواب علم المعانى.

وأما التلازم الصوتى بين هذه التراكيب فهو دراسة وجوه تحسين الكلام بما فى التركيب من محسنات معنوية ولفظية، وهى مهمة علم البديع، ثم ملاءمة هذه التراكيب لدلالاتها، ومعرفة كيف استطاع التركيب أن يظهر المعنى ويوضحه.

قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقْوَىٰ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقْوَىٰ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١] هذه الآية مفتتح سورة النساء بدأها الله - تعالى - ب ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ إيقاظاً

للسامع ، واعتناء بالخطاب المتلو قال الزمخشري : (يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد ، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه . وأما نداء القريب فله (أى) و(الهمزة) ، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب ، تنزيلاً له منزلة من بُعد ، فإذا نودي به القريب المقاطن ؛ فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معنى به جداً^(١) .

وقد تضمنت الآية مجمل ما جاء فى السورة من موضوعات ؛ ففيها أمر الناس بتقوى الرب الذى خلقهم من نفس واحدة ، وهذا أدل على كمال قدرته ، وأنه فاعل مختار قادر على كل الممكنات ، عالم بكل المعلومات ، فيجب الانقياد لكل تكليف من تكليفه ، والبعد عن كل نهى من نواهيه التى جاء ذكرها فى السورة بعد ذلك .

وقد ذكر - بعد الأمر بتقوى الرب الذى خلق الناس من نفس واحدة - أنه خلق من هذه النفس زوجها إلى أن العلاقة بين الرجل والمرأة يجب أن تقوم على المساواة ، وإنقاذاً لوضع المرأة المهين الذى كانت عليه فى الجاهلية .

ثم ذكرت الآية أن الناس كلهم من أصل واحد ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ تشير بذلك إلى حقوق العباد بعضهم على بعض كالعاملات ، والأخلاق ، والآداب التى ورد ذكرها فى السورة . ثم خصت نوعية من الناس تكون العلاقة معهم أوثق ، والربط بهم أوكد وهم الوالدان ، ثم الأهل والأقارب ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي كَسَاءَ لُونَكُمْ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ تنبيها من السورة إلى حقوق كل من هؤلاء . قال صاحب الكشاف : (أراد بالتقوى تقوى خاصة ، وهى أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم ؛ فلا يقطعون ما يجب عليهم وصله فقيل : اتقوا ربكم الذى وصل بينكم ، حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضهم لبعض ، فحافظوا عليها ولا تغفلوا عنه ، وهذا المعنى مطابق لمعانى السورة^(٢) .

وهذا لون من ألوان البديع يسمى براعة استهلال (وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم به ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله^(٣) .

وقد بدأت سورة النساء بما ختمت به سورة آل عمران من الأمر بالتقوى فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(١) تفسير الكشاف / ١ / ١٧٣ .

(٢) نفس المصدر / ١ / ٣٤٤ .

(٣) الإتيان للسيوطى / ٢ / ١٣٦ .

[سورة آل عمران - الآية ٢٠٠] وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور وهو نوع من أنواع البديع يسمى تشابه الأطراف^(١).

وقد تكرر اللفظ ﴿وَأَتَقُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ و ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾. وتكرر الفعل ﴿وَحَقَّقَ﴾ في قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت؛ فاللفظ ﴿خَلَقَ﴾ الأول بطريق التفریع من الأصل، والثاني بطريق الإنشاء من المادة، وبتكرار اللفظ يتحقق إيقاع موسقى عذب؛ لقيام التكرار على وحدات متساوية. يقول الدكتور محمد على رزق الخفاجي: فالتكرار من الناحية اللفظية قد يحقق إيقاعاً موسيقياً إذا كان قائماً على وحدات متساوية من الأصوات التي اتصفت بالحسن، أما إذا قام التكرار على أصوات أو ألفاظ توصف بالثقل أو العراية فإنها تؤدي إلى نتائج عكسية. وهي التنافر وقبح الوقع في السامع^(٢).

وأما تكرر الأمر بالتقوى فإنه للترغيب أولاً، ثم أعيد مرة أخرى للترهيب. وقوله تعالى: [تَسَاءَلُونَ] بإدغام التاء والسين لاشتراكهما في صفة واحدة؛ وهي الهمس فأمكن التماثل بامتزاج الصوتين ليكونا صوتاً واحداً، وذلك للتخفيف والخلوص من الثقل الذي ينتج من تجاوز الأصوات المتضادة في الصفات^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ حذف وصف النساء، بينما صرح به عند ذكر الرجال فالتقدير - والله أعلم - وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً كثيرات وقد وقع الحذف لقيام الدليل عليه في قوله: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾ إذ الواقع في كل ذكورة أن تكون أقل من الأنوثة في العدد^(٤) فإذا وصف الرجال بـ ﴿كَثِيرًا﴾ فيقتضى في النساء أكثر، والحذف في هذا المقام أفصح من الذكر. قال الإمام عبد القاهر: الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت

(١) أسرار ترتيب القرآن. للسيوطي ص ٩٠.

(٢) في كتابه علم الفصاحة العربية - ص ١٦٤

(٣) انصدر السابق ص ٢٤٧.

(٤) وقد لاحظنا ذلك في قاعات المحاضرات وسألت نفسي عن السر في ذلك إلى أن ألهمت أنه ربما كان ذلك لتوسيع دائرة الألفة بين الناس؛ فلو كان عدد الرجال أكثر لانحصرت الزواج في الأقارب فقط ولما رضى الأب أن يُبعد ابنته في الزواج بعيداً عنه والرجال - في محلته - كثر.

عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدر أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون إذا لم تُبَيَّن^(١).
ثم ما بين ﴿رَجَالًا﴾.. ﴿وَنِسَاءً﴾ من طباق لإبراز المعنى بذكر اللفظ وضده.
ثم فى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء - الآية ١] تأكيد لرقابة
الله الدائمة المستمرة لعباده، ووقع التأكيد بـ ﴿إِنَّ﴾. واسميه الجملة التى تفيد الدوام
والاستمرار.

وأما تقديم الجار والمجرور فى قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فذلك لبيان اختصاصهم بالمراقبة
ووقوعها عليهم، وذلك لاستدراك ما يمكن أن يقعوا فيه من أخطاء، وللمحافظة على
الجرس؛ ليكون ختام آية الافتتاح متناسباً مع بقية ختام الآيات التى تأتى بعد ذلك. قال
السيوطى: كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين، وإلحاق النون؛ وحكمته؛
وجود التمكن من التطريب بذلك كما قال سيبويه: أنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والباء
والنون لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا. وجاء فى القرآن على أسهل
موقف وأعذب مقطع^(٢).

قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا إِلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْبَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ^٣

إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء - الآية ٢].

أمر ونهيان: والأمر هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، والنهى
هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء أيضاً، ولا صيغة له إلا مع الفعل المضارع
مسبوقة بـ (لا) الناهية.

وقد عطفت الجمل السابقة لتأكيد كل من الأمر والنهى، والتنفير من عدم رد أموال
اليتامى إليهم وقت بلوغهم، واستبدال الطيب من أموال اليتامى بالخبث من أموالهم،
والأمر والنهى لأوصياء اليتامى. فكان الأفعال التى جاءت فى الجمل السابقة فى الآية
الكريمة موجهة إلى فاعل واحد، وذلك مما يزيد معنى الجمع فى الواو قوة وظهوراً. قال
الإمام عبد القاهر الجرجانى: واعلم أنه إذا كان المُخْبَرُ عنه فى الجملتين واحداً؛ كقولنا هو
يقول ويفعل ويضر وينفع ويسىء ويحسن... وأشباه ذلك، زاد معنى الجمع فى الواو قوة
وظهوراً وكان الأمر حينئذ صريحاً^(٣).

(١) دلائل الإعجاز - ص ١٠٤...١٩٦.

(٢) الإتيان فى علوم القرآن ٢ / ١٣٤.

(٣) دلائل الإعجاز. ص ١٥١.

ثم يبين الله تعالى - في الآية السابقة - أن أكل أموال اليتامى بأى صورة من الصور جرم كبير وذنب عظيم فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ مؤكداً وقوع الإثم بـ (إن) واسمية الجملة، وتنكير لفظ ﴿حُوبًا﴾؛ أى إثماً لا يُعرف مداه، ثم وصف الحوب بأنه كبير؛ مبالغة فى تهويل أمر النهى عنه، كأنه قيل: إنه من كبار الذنوب العظيمة.

والجمل الفعلية التى عُطِفَ بعضها على بعض، تفيد التجدد والحدوث، فكان الأمر من الله بالمحافظة على أموال اليتامى متجدد دائماً لمن يلى أمرهم على مرور الزمن. ثم ما بين [الْحَبِيبِ وَالطَّيِّبِ] من طباق لتوضيح المعنى وزيادة النهى تأكيداً.

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوبًا﴾ [سورة النساء - الآية ٥].

عُود إلى بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل لما أجمل؛ فالسُفَهَاءُ هم اليتامى^(١) وقوله: ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ هى فى الحقيقة أموال اليتامى، لكن الله تعالى جعلها بمثابة أموال الأوصياء ليحافظوا عليها وتنزيلاً لاختصاصها بأصحابها منزلة اختصاصها بهم، وذلك من باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٩]. وقوله: ﴿فَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة النور - الآية ٦١] مبالغة فى الجزم من القتل فى الأولى، والحث على السلام وتشجيعاً عليه فى الثانية، وأما فى الآية التى بين أيدينا من سورة النساء فلجعل المال مناطاً لمعاش الأوصياء.

قول الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الِّيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة النساء - الآية ٦].

هذه الآية معطوفة على الآيات التى سبقتها بحرف العطف الواو، وهى تصحيح لأوضاع مهينة كانت فى المجتمع الجاهلى تُظلم فيه فئات مستضعفة؛ فاليتيم ضعف، والأنوثة ضعف، والسَّفَهُ ضعف. وجاء العطف بالواو للاعتداد بشأن هؤلاء كل على حدة. وغاية الابتلاء فى قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الِّيَتَامَى﴾ هو بلوغهم سن النكاح، وكأن الآية تأمر أولياء اليتامى بإناس أى رشد منهم.

(١) كما روى عن سعيد ابن جبير - وانظر روح المعانى للأنوسى - ٤ / ٢٠١

والشرط فى قوله: ﴿بَلَّغُوا النِّكَاحَ﴾ جوابه جملة شرطية جعلت غاية الابتلاء؛ ﴿فَإِنْ ءَأْتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾. والشرط الثانى ﴿فَإِنْ ءَأْتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ جوابه ﴿فَادْفَعُوا﴾ وهذا الشرط مقيد للشرط الأول وهو بمنزلة الحال؛ وذلك حتى لا تدفع إليهم أموالهم ولو بلغوا مبلغ الرجال ما لم يكن حالهم الرشد. وقد عبر فى البلوغ بـ ﴿فَإِذَا﴾ وفى الإيناس بـ (إن) للفرق بينهما ظهوراً وخفاءً^(١).

وقد نكر ﴿رُشْدًا﴾ للإسراع فى رد أموال اليتامى بمجرد ظهور بوادر الرشد منهم كما قال الزمخشري: هو نوع من الرشد فى التصرف والتجارة أو طرفاً من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد^(٢).

وتكرار قوله تعالى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾... ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ إطناب؛ لتأكيد الدفع والحث عليه وسرعة تنفيذه؛ إذ الإطناب؛ تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده. وهو من أعظم أنواع البلاغة - كما يقول السيوطى - وقد نقل عن صاحب سر الفصاحة عن بعضهم قوله: البلاغة هي: الإيجاز والإطناب^(٣).

وأما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فهو لربط الشرط بالأمر الأول فى قوله: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾. لأنه لما طال الفصل جىء به مرة ثانية؛ كى لا يكون الكلام مبتوراً ليس له طلاوة مما يجعلنا نقول: إن الإطناب فى الآية حقق نظاماً بديعاً.

وقد اشتركت المقابلة بين قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فى تحقق النظم أيضاً.

قول الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [سورة النساء - الآية ٧] كرر قوله: ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ عند ذكر الرجال مرة وعند ذكر النساء مرة أخرى لحث السامع على إعطاء المرأة نصيبها المفروض، ويمكن أن يطلق على هذا التكرار، تكرار لفظى؛ فالألفاظ فى الآيتين مكررة بنفس ترتيبها. ويمكن أن يقال عنه - أيضاً - تكرار

(١) الألوسى. روح المعانى. ٢٠٥ / ٤ - ٢٠٦.

(٢) تفسير الكشاف ١ / ٣٤٩.

(٣) السيوطى - الإتقان فى علوم القرآن ٢ / ٦٩.

معنوى ، والذي يقول عنه الدكتور محمد على رزق : إنه يرتبط بالإيجاز والإطناب والمساواة ، كما يرتبط ارتباطاً بمقامات السامعين أو القارئین وقد استشهد على ذلك بقول الجاحظ فى استعمال القرآن للتكرار : ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب ، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى والحذف ، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد فى الكلام . كما يرى الدكتور أن التكرار لا يعيب الفصاحة إذا نتج عنه إيقاع موسيقى بألفاظ عذبة سهلة^(١) .

وأما قوله : للرجال ... للنساء ، فليبيان أحقية كل من النوعين فى النصيب . وقد وقع الطباق بينهما للتوضيح . وجاء اللفظ ﴿ نَصِيبًا ﴾ مكرراً للتأكيد على إعطاء نصيب كل ، ثم هو مع الرجال مرة ، ومع النساء أخرى إشارة ما بين النصيبين من التفاوت . وجاء اللفظ [نَصِيبٌ] نكرة غير محددة ؛ لأنه يقل ويكثر تبعاً لكمية التركة . وإلى وقت نزول هذه الآية لم يُعرف بعد نصيب الرجل والمرأة وجاء مفضلاً فى قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ .

وقد تقدم الجار والمجرور فى قوله : ﴿ لِلرِّجَالِ ﴾ على عامله ﴿ نَصِيبٌ ﴾ الأولى ، فتقدم نظيره ﴿ وَلِلنِّسَاءِ ﴾ على عامله ﴿ نَصِيبٌ ﴾ الثانية ؛ للمساواة بين الجنسين فى الحق وبيان اختصاصهم بأنصابتهم من التركة .

وأما قوله : ﴿ وَمَا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾ فإنه بدل من (ما) فى قوله [مِمَّا تَرَكَ] بإعادة العامل ؛ لبيان ما جاء فى قوله : ﴿ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ ، ولدفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة ؛ كالخيل وآلات الحرب للرجال - كما يقول الألوسى - فلكل من الفريقين حق فى كل ما جَلَّ ودَقَّ . كما قدم ﴿ قَلَّ ﴾ على ﴿ كَثُرَ ﴾^(٢) .

وتأتى جملة البدل ؛ لكون الجملة الأولى غير وافية بتمام المراد أو كغير الوافية به ، والمقام الاعتناء بشأن المراد لنكتة ؛ ككونه مطلوباً فى نفعه ، أو نظيفاً أو لطيفاً فنزل الثانية من الأولى منزلة البعض أو الاشتمال^(٣) .

قول الله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً

(١) راجع : علم الفصاحة العربية - ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) روح المعانى ٤ / ٢١١ .

(٣) شرح عقود الجمان للسيوطى ص ٦٠ .

فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ
فَلَأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ [سورة النساء - الآية ١١] هذه
الآية تفصيل لما أجمل في قوله تعالى: [لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ] وقد
بيّنت الآية ﴿يُوصِيكُمُ﴾ ذلك النصيب، وبهذا يربى الله النفس على الاشتياق إلى حُكمه
فتستشرف إلى تفصيله، ويأتي الحكم بعد طلب النفس له، فيرسخ في الأذهان ويستقر في
النفوس. وقد استخدمت الآية لفظي؛ الذكر، والأنثى؛ إيثاراً على ما مرّ ذكره في قوله
[لِلرِّجَالِ]، وذلك لاستواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق، وقدم الجار والمجرور
[لِلذَّكَرِ] لبيان فضله، وأحكام قوامته على الأنثى، تلك القوامة التي جاءت بعد ذلك في
قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ ﴿٣٤﴾ [سورة النساء - الآية ٣٤] وكذلك لبيان
بهذا التركيب أن المكيال المنسوب إليه الرجل ويورث على أساسه هو الأنثى؛ إبطالاً
لعادتهم في الجاهلية من توريث الذكور دون الإناث. وقد حذف الفاعل في قوله: ﴿فَإِن
كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [سورة النساء - الآية ١١] إذ التقدير: مما ترك
المتوفى وقد وقع الحذف لدلالة الكلام عليه.
وسلكت الآية مسلكاً رائعاً في تنبيه الأذهان لاستقبال كلام الله؛ فثمة رباط وثيق بينها
وبين آية الكلاله في آخر السورة فيما يتعلق بنصيب البنيتين؛ ففي قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ يبيّن حكم الجمع من البنات بقوله ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾، وفي آية الكلاله،
بين الله - تعالى - حكم الأختين الشقيقتين أو لأب في قوله ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا
الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ ﴿١٧٦﴾ [سورة النساء - الآية ١٧٦]، ولما كانت البناتن ألحق بالمورث من
الأختين، لزم أن تأخذ البناتن لاغير الثلثين كالأختين؛ فجاء بالجمع في آية [يُوصِيكُمُ]
وبالمثنى في آية الكلاله الأخيرة لناخذ المثنى وينسحب على الجمع هناك، والمثنى هناك
لينسحب على الجمع هنا^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ فلأبوى الميت، وقد جاء ضميراً
للعلم به.

(١) انظر في ذلك: تفسير القرطبي ٣/ ١٦٣٣.

أمه^(١). وهذا ما يؤيد الحذف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْتِيكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٧] قصر التوبة على الذين يعملون السوء، ثم يتوبون ويندمون، وحذف الموصوف في قوله: ﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾ والتقدير: من زمن قريب، لبيان أن المدة التي تقع بين عمل السوء وحضرة الموت قصيرة جداً في حساب الزمن؛ وذلك للحث على التوبة والإسراع بها قبل الموت، فيحدث الندم مع عدمها، ولات ساعة مندم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٢٢].
الجملة فعلية لتجدد النهي واستحدثائه على الدوام، وقوله: ﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ تعريف للمسند إليه بالموصولية لتعظيم شأنه، وتأکید النهي الخاص به لكونه من نساء الآباء.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لتأييد الحرمة وتأكيدها من باب تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه لتعليق التحليل، إذ المعنى - والله أعلم - حرمت عليكم نكاح زوجات آبائكم إلا ما كان واقعاً منه قبل ذلك فإنه معفو عنه، فإن استطعتم أن تعودوا إلى الماضي فافعلوا، وذلك محال. قال صاحب الكشاف: استثناء ما قد سلف مما نكح آبائكم، يعنى؛ إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه، فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن. والغرض المبالغة في تحريمه، وسد الطريق إلى إباحته، كما يعلق بالمحال فى التأييد فى نحو قولهم: حتى يَبْيَضُ القَارُ و ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٢).

وقد ذم الله - تعالى - هذا النكاح بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أى بئس طريقاً ذلك النكاح.

وفى ﴿وَسَاءَ﴾ ضمير مبهم يفسره ما بعده. والمخصوص بالذم محذوف. وذم الطريق مبالغة فى ذم سالكها وكناية عنه.

وجاء قوله: ﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ على طريقة

(١) تفسير القرطبي ٣ / ١٦٤٨.

(٢) تفسير الكشاف. ١ / ٥١٥.

1/8 - 1/11 - 1/12 - 1/13 - 1/14 - 1/15 - 1/16 - 1/17 - 1/18 - 1/19 - 1/20 - 1/21 - 1/22 - 1/23 - 1/24 - 1/25 - 1/26 - 1/27 - 1/28 - 1/29 - 1/30 - 1/31 - 1/32 - 1/33 - 1/34 - 1/35 - 1/36 - 1/37 - 1/38 - 1/39 - 1/40 - 1/41 - 1/42 - 1/43 - 1/44 - 1/45 - 1/46 - 1/47 - 1/48 - 1/49 - 1/50 - 1/51 - 1/52 - 1/53 - 1/54 - 1/55 - 1/56 - 1/57 - 1/58 - 1/59 - 1/60 - 1/61 - 1/62 - 1/63 - 1/64 - 1/65 - 1/66 - 1/67 - 1/68 - 1/69 - 1/70 - 1/71 - 1/72 - 1/73 - 1/74 - 1/75 - 1/76 - 1/77 - 1/78 - 1/79 - 1/80 - 1/81 - 1/82 - 1/83 - 1/84 - 1/85 - 1/86 - 1/87 - 1/88 - 1/89 - 1/90 - 1/91 - 1/92 - 1/93 - 1/94 - 1/95 - 1/96 - 1/97 - 1/98 - 1/99 - 1/100

1. **1/1** - **1/2** - **1/3** - **1/4** - **1/5** - **1/6** - **1/7** - **1/8** - **1/9** - **1/10** - **1/11** - **1/12** - **1/13** - **1/14** - **1/15** - **1/16** - **1/17** - **1/18** - **1/19** - **1/20** - **1/21** - **1/22** - **1/23** - **1/24** - **1/25** - **1/26** - **1/27** - **1/28** - **1/29** - **1/30** - **1/31** - **1/32** - **1/33** - **1/34** - **1/35** - **1/36** - **1/37** - **1/38** - **1/39** - **1/40** - **1/41** - **1/42** - **1/43** - **1/44** - **1/45** - **1/46** - **1/47** - **1/48** - **1/49** - **1/50** - **1/51** - **1/52** - **1/53** - **1/54** - **1/55** - **1/56** - **1/57** - **1/58** - **1/59** - **1/60** - **1/61** - **1/62** - **1/63** - **1/64** - **1/65** - **1/66** - **1/67** - **1/68** - **1/69** - **1/70** - **1/71** - **1/72** - **1/73** - **1/74** - **1/75** - **1/76** - **1/77** - **1/78** - **1/79** - **1/80** - **1/81** - **1/82** - **1/83** - **1/84** - **1/85** - **1/86** - **1/87** - **1/88** - **1/89** - **1/90** - **1/91** - **1/92** - **1/93** - **1/94** - **1/95** - **1/96** - **1/97** - **1/98** - **1/99** - **1/100**

2. **1/101** - **1/102** - **1/103** - **1/104** - **1/105** - **1/106** - **1/107** - **1/108** - **1/109** - **1/110** - **1/111** - **1/112** - **1/113** - **1/114** - **1/115** - **1/116** - **1/117** - **1/118** - **1/119** - **1/120** - **1/121** - **1/122** - **1/123** - **1/124** - **1/125** - **1/126** - **1/127** - **1/128** - **1/129** - **1/130** - **1/131** - **1/132** - **1/133** - **1/134** - **1/135** - **1/136** - **1/137** - **1/138** - **1/139** - **1/140** - **1/141** - **1/142** - **1/143** - **1/144** - **1/145** - **1/146** - **1/147** - **1/148** - **1/149** - **1/150**

وقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ [سورة النساء - الآية ٤٣].

تصدير للكلام بحرف النداء (يا) والتنبيه ب (ها) اعتناء بشأن الحكم، وحثاً للمخاطب على التنبيه واليقظة لاستقباله.

وأما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فاعتناء بشأن المكلفين، واهتمام بهم بجعل المسند إليه اسم موصول.

وفى قوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ حذف المضاف. والتقدير - والله أعلم - لا تقربوا موضع الصلاة - أي المسجد - وانتم سكارى أو جنباً إلا عابري سبيل. وعلى تقدير الحذف فإنه يجوز للجنب العبور في المسجد. وهناك من يقول بعدم الحذف ويكون المعنى - حينئذ - لا تقربوا الصلاة حال كونكم سكارى، أو جنباً، إلا عابر السبيل فإنه يجوز له الصلاة عند توفر الماء له.

وإن كان الشافعية يَرَجِّحُونَ الحذف، ويستدلون على ذلك بقوله ﴿لَا تَقْرَبُوا﴾. فالقرب والبعد عندهم لا يصحان على الصلاة على سبيل الحقيقة، إنما يصحان على مكانها (المسجد).

وأما جملة ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ فهي حالية، تتضمن نهى المؤمنين عن أن يكون السكر حالهم ووصفهم عند حضور الصلاة؛ فيجب تركه قبل حلول الوقت.

وقد فرق عبد القاهر الجرجاني بين الحال المفردة، والحال الجملة، فقال: إن المفردة تكون وصفا لصاحبها حال تلبسه بالفعل في (جاء زيد راكباً)، فالركوب وصف له حال المجيء، وهو تابع له مقدر بقدره. أما (جاء زيد وهو راكب) فإن الركوب وصف ثابت في نفسه، وقد جاء في حالة تلبسه به^(١).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ غاية في النهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة. وقدم الاستثناء عليه ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ للإيدان من أول الأمر بأن حكم النهي في هذه السورة

(١) دلائل الإعجاز - ص ١٢١.

ليس على الإطلاق، تشويقاً للبيان وروما لزيادة تقريية فى الأذهان^(١).

وقد تقدم فى هذه الآفة ذكر المرضى والمسافرين على المحدثين والمجنبيين، فى الاستعاضة عن الماء بالتيمم، لغلبة الرخصة عليهم، ولكثرتها من بين الأسباب؛ ثم سلك معهم المحدثين والمجنبيين فى سلك واحد، قال الزمخشرى؛ نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين، وبين المحدثين والمجنبيين. والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة، والحدث سبب لوجوب الوضوء، والجنابة سبب لوجوب الغسل؛ لأن الله سبحانه أراد أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء فى التيمم بالتراب، فخص أولاً من بينهم مرضاهم وسفرهم؛ لأنهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر، وغلبتها على سائر الأسباب الموجبة للرخصة، ثم عمم على كل من وجب عليه التطهر. وأعوزه الماء؛ لخوف عدو أو سبع، أو عدم آلة استقاء، أو إرهاب فى مكان لا ماء فيه، أو غير ذلك بما لا يكثر كثرة المرض والسفر^(٢).

قول الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء - الآفة ٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بيان لقسم من الذين أتوا نصيباً من الكتاب فى الآفة التى سبقت هذه الآفة؛ وهى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة النساء - الآفة ٤٤] وتفصيل بعد إجمال.

وقد حذف المبتدأ فى قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ والتقدير: قوم يحرفون الكلم، وقد وصف بالجملة الفعلية ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ وهم بعض من الذين هادوا.

وأما قوله: ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ فإنها حال من المخاطبين كما قال الزمخشرى: أى اسمع لا سمعت، أو (وأنت غير مسمع) وهو كلام ذو وجهين يحتمل المدح والذم، فالمدح على تقدير: اسمع غير مسمع مكروهاً، والذم على تقدير: اسمع منا مدعواً عليك بلا سمعت^(٣).

(١) روح المعانى. الألوسى ٥ / ٤٠.

(٢) تفسير الكشاف / ١ / ٣٦٣.

(٣) انصدر نفسه / ١ / ٣٦٧.

وقوله تعالى - حكاية عنه - (راعنا) إما أن تكون: راعنا سمعك نكلمك، أو أنها كلمة للصب بالعبرانية - كما يقول الألوسي نقلاً عن التيسير - إن راعنا بعينه مما يتسابون به، وهو وصف للرعونة، وقيل إنه يشبه كلمة سب عندهم عبرانية أو سريانية وهي (راعينا)، وقيل بل كانوا يشبعون كسر العين ويعنون - عليهم اللعائن الى يوم الدين - أنه - وحاشاه - ﴿٤٧﴾ - بمنزلة خادمهم وراعى غنمهم. وقد كانوا يقولون ذلك مظهرين الاحترام والتوقير، مضميرين ما يستحقون به جهنم وبئس المصير^(١).

وهذا لون من ألوان البديع يسمى التوجيه؛ وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كقول من قال للأعور: «ليت عينيه سواء»^(٢).

وأما قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ففيه حذف على وجهين؛ إما بتقدير فلا يؤمنون إلا أقوام قليلون كعبد الله بن سلام وأمثاله، أو على تقدير فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً؛ لأنهم آمنوا بموسى وكفروا بمحمد - ﷺ - . والأول أظهر وهذا ما يسمى صيانة احتمال.

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهاً فَرُدُّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٤٧] الحديث فى الآية عن اليهود أيضاً. والذين أتوا نصيباً من الكتاب - فى هذه الآية - هم الذين هادوا فى سابقتها، والضمير فى قوله ﴿نَلْعَنَهُمْ﴾ للذين أتوا نصيباً من الكتاب.

وقد بدأت الآية بخطاب اليهود، ثم عدلت عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغيبة فى قولهم ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ على طريقة الالتفات الذى عرفه البيانىون بأنه التعبير عن معنى بإحدى الطرق الثلاث؛ التكلم أو الخطاب أو الغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منهما، بشرط أن يكون التعبير الثانى على خلاف ما يقتضيه الظاهر، ويترقبه السامع وذلك لإيقاظه من الغفلة، وتنشيط عقله بنقله من صيغة إلى أخرى لتجديد نشاطه، وليكون أدعى إلى الإصغاء^(٣).

وقد نكر لفظ ﴿وُجُوهاً﴾ إما للتحويل، وإما لأن الطمس واقع بهم لا محالة قبل قيام

(١) روح المعانى ٤٧/٥.

(٢) هذا الشطر هو الثانى من بيت لبشار الذى قال فيه لمن خاط له ثياب واسمه عمرو وكان أعور:

خاط لى عمرو قباء ليت عينيه سواء

(٣) انظر فى ذلك: بغية الإيضاح، ١٠٢/١ - ١٥٣.

الساعة بدليل التعبير بضمير الغيبة بعد ذلك في قوله ﴿أَوَلَمْ نَلْعَنَهُمْ﴾^(١).

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أى نافذاً محققاً بايقاع أحد الأمرين؛ الطمس أو اللعن.

والجملة اعتراضية للتأكيد، وقد وضع اسم الجلالة موضع الضمير فى قوله ﴿نَلْعَنَهُمْ﴾ بطريق الالتفاف أيضاً لتنبههم وإيقاظهم من غفلتهم.

وجاء الالتفات؛ لتنبية السامعين فى موضع آخر من السورة أيضاً فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ٦٤] وقد وقع الالتفات فى هذا الآية تعظيماً لشأن الرسول الكريم ﷺ. قال الزمخشري: ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً بشأن رسول الله ﷺ وتعظيماً لاستغفاره، وتنبئها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان^(٢).

قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء - الآية ٧٥] التفات فى قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيلُونَ﴾ - باعتبار الآية السابقة - ﴿فَلْيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [سورة النساء - الآية ٧٤]، وقد وقع الالتفات لحث المؤمنين على تحصيل الفضل العظيم الذى ينتظر المجاهدين فى الآخرة، ولنصرة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

وفى قوله ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ حذف للمضاف والتقدير - والله أعلم - وفى سبيل المستضعفين، وقد عطف قوله ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ على اسم الله - عز وجل - لبيان أهمية الجهاد فى سبيل المستضعفين وسمو مكانته باعتباره جهاداً فى سبيل الله.

وجاء قوله: ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ لبيان الفئات المستضعفة فهو تفصيل بعد إجمال.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ المقصود بالقرية مكة، ولم

(١) الزمخشري - الكشاف / ١ / ٣٧١.

(٢) تفسير الكشاف / ١ / ٥٣٨. دار الفكر.

ينسب الظلم إليها تشريفاً لها. ونَسَبَهُ إلى أهلها لاستحقاقهم إياه ؛ فجملة ﴿أَنْظُرِ أَهْلَهَا﴾ مذكورة لما اسندت إليه القرية وهو ﴿أَهْلَهَا﴾ إذ إن اسم الفاعل واسم المفعول إذا أجرى على غير ما هو له فتذكيره وتأنيثه على حسب الاسم الظاهر الذى عمل فيه.

والأهل منتسبون للقرية ، ومقصودون بالوصف للتخصيص والتمييز.
قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٨٥].

تردد الفعل ﴿يَشْفَعُ﴾ ومصدره ﴿شَفَعَةً﴾ فى الشرط الأول والثانى ، فتحقق بذلك إيقاع موسيقى لقيام التردد على وحدات متساوية من الأصوات الحسنة.

وجاء الطباق بين كلمتى ﴿حَسَنَةً﴾.... ﴿سَيِّئَةً﴾ لبيان نوع الشفاعة فى كلٍ، وعبر بالنصيب^(١) فى الشفاعة الحسنة، وبالكفل^(٢) فى الشفاعة السيئة للتعقن.

وقد تقدم ﴿نَصِيبٌ﴾ على ﴿كِفْلٌ﴾ إشارة إلى أن الحسننة يضاعف ثوابها، ويجازى صاحب السيئة بالمثل كما فى قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الأنعام - الآية ١٦٠].

وقد قامت الآية على وحدتين أساسيتين ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ و ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ وحققت المقابلة اللطيفة بينهما دقة فى الأداء ونظماً رائعاً؛ إذ المقابلة - كما يقول عنها السكاكى - هى أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما، ثم إذا شرطت شرطاً هنا شرطت هناك ضده^(٣)، وهى لون من البديع يضى على الكلام طلاوة وجمالاً.

قوله الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٨٧].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتدأ وخبر وهى - باعتبار الآيات السابقة - جملة اعتراضية لوجوب تنفيذ ما قبلها من أحكام.

(١) النصيب - هنا - الحظ الوافر.

(٢) الكفل: البُئل المساوى.

(٣) مفتاح العلوم ص ٤٣٤.

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ جواب لقسم محذوف تقديره: والله ليجمعكم، والفعل [لِيَجْمَعَنَّكُمْ] للإشعار بأن الله - تعالى - جامع الأولين والآخرين، وقد أكد هذا الجمع بالقسم ونون التوكيد.

وأما حرف الجر (إلى) فإنه بمعنى (فى) والتقدير: فى يوم القيامة.
والقيامة بمعنى القيام، ودخلت التاء للمبالغة.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ استفهام إنكارى، بمعنى أنه لا يوجد من هو أصدق منه - تعالى - فى الحديث. وزيادة فى تأكيد الجمع يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٩٠] فى قوله [فَلَقَاتَلُوكُمْ] زيادة اللام للمحاذاة، إذ إن اللام جواب لو فى قوله [لَسَلَّطَهُمْ]؛ والمعنى: لو شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلوكم، لكن لا يتحقق النظم البديع والجرس الموسيقى العذب فى الآية كما تحقق بإثبات اللام الثانية.

والمحاذاة؛ أن يُجْعَلَ كلام بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين^(١).

قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَ وَقَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ٩٥] تنفى المساواة بين المجاهدين والقاعدين، وترفع درجات المجاهدين، ولذا فإن لفظ ﴿الْمُجَاهِدُونَ﴾ تردد فى الآية ثلاث مرات، وقد وقع التفضيل له من الله فى مرتين منها. وجاء لفظ الجلالة فى أربعة مواضع، وقد وقع منه التفضيل للمجاهدين فى مرتين منها؛ لبيان سمو منزلتهم.

ويلاحظ أن المجاهدين قد فضلوا فى الأولى بقوله ﴿دَرَجَةً﴾ مُنْكَرَةً حتى لا يعرف أحد مقدارها إلا المفضل - تعالى - وذلك للحث على الجهاد، والإسراع إليه بالمال والنفس. وقد نسبت ﴿دَرَجَةً﴾ على المصدر؛ لأنها تضمنت التفضيل، فهى بمعنى المنزلة والمرتبة تكون فى الترقى والفضل، فوقعت موقع المصدر كأنه قيل: (فضلهم تفضيلاً)^(٢).

(١) ابن فارس - الصحابى / ٣٨٤.

(٢) روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المائى للألوسى / ١٢٢ / ٥.

وأما قوله: ﴿وَكَلَّا وَعَدَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ فإنها جملة اعتراضية؛ لتدارك ما قد يوهمه تفضيل المجاهدين من حرمان القاعدين، وإشارة من الله تعالى إلى قبول عذر القاعدين مع رغبتهم الصادقة في الجهاد، وليبيان أن الجزاء يكون على قدر النية.

وأما قوله ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ ففيه تقديم المال على النفس لبيان منزلة المال ومكانته في القلوب.

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [سورة النساء - الآية ١١٢] جملتنا ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ و﴿يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ عطف إحداهما على الأخرى بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ ومن مجموعهما كان الشرط الذي جوابه ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

وأما عطف [إِثْمًا] على ﴿خَطِيئَةً﴾ بحرف العطف ﴿أَوْ﴾؛ فليبيان أن الأولى غير الثانية، ثم إنهما مجتمعتين يؤديان بصاحبهما إلى البهتان والإثم المبين. وفي كتابه دلائل الإعجاز تعرض الإمام عبد القاهر لدراسة هذه الآية فقال: (الشرط - كما لا يخفى - في مجموع الجملتين، لا في كل واحدة منهما على الانفراد، ولا في واحدة دون الأخرى، لأننا إن قلنا إنه في كل واحدة منهما على الانفراد، جعلناهما شرطين، وإذا جعلناهما شرطين، اقتضتا جزاءين، وليس معنا إلا جزاء واحد، وإن قلنا إنه في واحدة منهما دون الأخرى لزم منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط. وذلك ما لا يخفى فساده.

ثم إننا نعلم من طريق المعنى أن الجزاء الذي هو احتمال البهتان والإثم المبين، أمر يتعلق بإيجابه بمجموع ما حصل في الجملتين، فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفراد، ولا لرمي البريء بالخطيئة أو الإثم على الإطلاق، بل لرمي الإنسان البريء بخطيئة أو إثم كان من الرامى، وكذلك الحكم أبداً^(١).

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ١٤٢].

تأكيد لخداع المنافقين بـ ﴿إِنَّ﴾ واسمية الجملة، والخبر جملة فعلية ﴿يُخَادِعُونَ﴾ لفائدة؛ وهي أنهم على هذه الشاكلة من النفاق والخداع في كل زمان.

(١) دلائل الإعجاز - ص ١٦٥.

وأما جملة ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ فإنها اسمية، لإفادة دوام خداع الله - تعالى - لهم، والله لا يخادع ولكن المعنى أنه - تعالى - يجازيهم بخداعهم. فكأن خداعهم المتجدد مقابل بعقاب مستمر من الله. وهذا لون من ألوان البديع يسمى المشاكلة.

وقد سمي الله جزاءه للمنافقين مخادعة لمشاكلة خداعهم ونفاقهم؛ فالجزء من جنس العمل.

وهذه الجملة - أيضاً - معطوفة على ما قبلها كما يقول الإمام عبد القاهر، لأن الأول من الكلامين فيها كالثاني في أنه خبر من الله تعالى وليس بحكاية^(١).

قول الله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [سورة النساء - ١٥٧] الضمير في ﴿قَتَلُوهُ﴾ يعود إلى عيسى - عليه السلام - أي أنهم ليسوا متيقنين من قتله. بينما يرى ابن قتيبة عوده إلى (العلم) أي (وما قتلوا العلم يقيناً)، كما تقول: قتلت الكتب بحثاً، إذا تبأغ بحثك فيها، أي أن العلم لم يتحققه ويستيقنوه. وأصل ذلك أن القتل للشئ يكون عن قهر واستعلاء وغلبة، فلم يكن علمهم بقتل المسيح علماً أحيط به وإنما كان ظناً^(٢).

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ [سورة النساء - ١٧١] ذهب بعض العلماء إلى تقدير حذف المبتدأ في هذه الآية بتقدير: وَلَا تَقُولُوا آلهتنا ثلاثة، وهذا التقدير وإن كان ينفي كون الآلهة ثلاثة، إلا أنه يسلم بتعدد الآلهة؛ إذ النفي لا ينصب على معنى المبتدأ على المعنى المستفاد من الخبر. وفي ذلك يقول عبد القاهر: ذهبوا في رفع ثلاثة إلى أنها خبر مبتدأ محذوف وقالوا: إن التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة، وليس ذلك بمستقيم؛ وذلك أنا إذا قلنا: ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة كان ذلك - والعياذ بالله - شبه الإثبات أن هاهنا آلهة، من حيث إنك إذا نفيت فإنما تنفي المعنى المستفاد من الخبر عن المبتدأ، ولا تنفي معنى المبتدأ؛ فإذا قلت: (ما زيد منطلقاً) كنت نفيت الانطلاق الذي هو معنى الخبر عن زيد، ولم تنف معنى زيد ولم توجب عدمه. وإذا كان ذلك، فإذا قلنا: ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة كنا قد نفينا أن تكون عدة الآلهة ثلاثة، ولم ننف أن تكون آلهة - جل الله تعالى عن الشريك والنظير -.

ويرى الإمام أن (ثلاثة) صفة لمبتدأ محذوف، والتقدير: ولا تقولوا: لنا آلهة ثلاثة، أوفى الوجود آلهة ثلاثة، ثم حذف الخبر الذي هو (لنا) أو (في الوجود) كما حذف من

(١) المصدر نفسه - ص ١٥٦.

(٢) تأويل مشكل القرآن / ص ١٥٣ - ١٥٤.

- (۱) ۴/ ۵۳: انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
- (۲) ۸/ ۶۸: انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
- (۳) ۳۳۸: انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن

۱) انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن

انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن

انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن

انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن

انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن
 انما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن

وحسن ختام السورة بهذه الآية - أيضاً - لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر كل
حي، ولأنها آخر ما نزل من أحكام^(١).

□□□

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٣٧.

الفصل الثالث

الإعجاز البياني

الصورة الفنية في سورة النساء:

الصورة الفنية في سورة النساء تتمثل في التشبيه والاستعارة والكناية التي لا يراد بها المعنى الأصلي الذي وضعت له ، وإن كانت الكناية عامة أبلغ من التصريح لإثبات المعنى لما ثبت له كما يقول الإمام عبدالقادر الجرجاني : (فإذا جعلوا للكناية مزية على التصريح لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكنى عنه ، ولكن في إثباته للذي ثبت له ، وذلك أنا نعلم أن المعاني التي يقصد الخبر بها لا تتغير في أنفسها بأن يكنى عنها بمعان سواها ، ويترك أن تذكر الألفاظ التي هي لها في اللغة ، ومن هذا الذي يشك أن معنى طول القامة وكثرة القرى لا يتغيران بأن يكنى عنهما بطول النجاد ، وكثرة رماد القدر ، وتقدير التغيير فيهما يؤدي إلى أن لا تكون الكناية عنهما ، ولكن من غيرهما)^(١).

ويتشعب حديث الكناية إلى التلويح والتعريض والرمز والإيماء.

تلك هي الصورة التي أعنيها في هذا الفصل والتي تشمل أنواع المجاز بصورة جزئية تتمثل في تناول موضوعات علم البيان وتطبيقها على السورة لإظهار معانيها وتوضيحها ذلك لأنها تعدل عن اللفظ الظاهر إلى ما هو أبلغ ، فيقع في النفس موقعاً حسناً.

يقول الإمام عبدالقادر الجرجاني : (اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين : قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم ، فالقسم الأول الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة ، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر ، فما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية^(٢) . ومن ثم فإن الصورة التي أعنيها في هذا الفصل

(١) دلائل الإعجاز / ٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه / ٢٧٣.

تختلف عن الصورة التي عنها المرحوم سيد قطب^(١)، والتي استخدم لها اللون والحركة والإيقاع والوصف والحوار والموسيقى، وجعل العين والأذن وألحس والخيال والفكر والوجدان من الأشياء التي تتملى صورته، كما أنه انتزعها من عالم الأحياء لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة، وجعله تصويراً تقاس فيه الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانيات؛ فالمعاني - عنده - تُرسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة^(٢).

قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا آلَيْنِمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٢].

﴿الَيْنِمَىٰ﴾ لفظ لا يراد به معناه الحقيقي، فاليتميم من فقد أباه ولم يبلغ سن الرشد، بدليل قوله ﷺ: «... لا يُتَمَّ بعد الحلم»^(٣). والآية تأمر الأوصياء بإيتاء أموال من كانوا يتامى وتمكنهم منها للتصرف فيها كيفما يختارون؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَبْلُوا آلَيْنِمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٦] يكون المراد من (اليتامى) في الآية؛ البالغين الراشدين الذين كانوا يتامى. وإطلاق لفظ ﴿الَيْنِمَىٰ﴾ عليهم مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان. ويكون اللفظ - بذلك - قد استعمل في غير معناه الحقيقي لملاحظة علاقة اعتبار ما كان مع وجود لفظ ﴿وَأَتُوا﴾ كقرينة تدل على عدم إرادة المعنى الأصلي.

وسُمِّيَ المجاز مرسلًا، لأنه أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة، كما في الاستعارة التي ليس لها إلا علاقة المشابهة.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْنِمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء - الآية ١٠].

لفظ ﴿نَارًا﴾ - في الآية - لا يراد به معناه الحقيقي، بدليل قوله تعالى: «يأكلون في بطونهم...» فالنار لا تؤكل، وإنما المراد به المال الحرام (وهو مال اليتامى الذي أكله أوصياؤهم) والنار مسببة عنه؛ فقد روى أبو برزة الأسلمي أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الله يوم القيامة قوماً من قبورهم تأجج أفواههم ناراً، قيل من هم يارسول الله؟ قال:

(١) في كتابه التصوير الفني في القرآن الكريم.

(٢) انظر المصدر السابق / ٣٥.

(٣) المحلى لابن حزم ٤٩/٨.

ألم تر أن الله يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١)

فاللفظ (ناراً) مجاز مرسل علاقته السببية، بينما يرى الجاحظ أن الآية - موضع الدراسة بها مجازان، الأول: في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ اقال: إنها من باب المجاز والتشبيه على شاكلة ﴿أَكْأَلُونَ لِلشُّحِّ﴾ [سورة المائدة - الآية ٤٢] وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل وركبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل. وقد قال الله - عز وجل - ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ وهذا مجاز آخر^(٢).

والمجاز في الآية مبالغة في زجرهم عن أكل أموال اليتامى، وتهويل الأمر بأن جعل المأكول كأنه نار في الحقيقة.

قول الله تعالى ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾^(٣) [سورة النساء - الآية ٢١] (أفضى بعضكم إلى بعض) كناية عن الجماع، فالأصل في كلمة (أفضى) أنها من الفضاء، وأفضى فلان إلى فلانة، أى صار في فرجتها وفضاءها، وهذا المعنى لا يتحقق إلا بالجماع. وفي هذا الصدد يقول ابن عباس: (إن الإفضاء - هنا - كناية عن الجماع فالله كريم يكنى بما يشاء)^(٤).

وقد جاء الإفضاء في اللغة بمعنى المخالطة، ويقال للشئ المختلط: فضا، وعليه قول الشاعر:

فقلت لها يا عمتى لكِ ناقتى وتمر فضا في عيبتى^(٥) وزبيب

مما سبق يتبين أن (أفضى) - بين الرجل والمرأة - لا يتحقق إلا بالجماع، وعليه فإن اللفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي وهو ما يسمى بـ الكناية.

(١) الكامل في الضعفاء: ١٣٤/٤.

(٢) الحيوان للجاحظ ٥/٣٥.

(٣) تفسير القرطبي ١٦٧٢/٣.

(٤) العيبة: زبيب من آدم ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين. عن المعجم الوسيط مادة (ع ي ب).

(٥) تفسير القرطبي ١٦٧٢/٣.

وقد وقعت الكناية - في الآية - موقعاً حسناً حيث عبر عن القبيح بما تسيغ الأذان سماعه.

قول الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ (٢٣) [سورة النساء - الآية ٢٣].

ليست الأعيان مورداً للتحليل والتحرير، ولكن التكليف يتعلق بالأمر والنهي وهما مختصان بالأفعال لا الذات، ولكن الذات محل للأفعال. قال ابن العربي: (إن التحريم ليس بصفات للأعيان، وإن الأعيان ليس مورداً للتحليل والتحرير ولا مصدراً، وإنما يتعلق التكليف بالأمر والنهي بأفعال المكلفين من حركة وسكون، ولكن الأعيان لما كانت مورداً للأفعال أضيف الأمر والنهي والحكم إليها، وعلق بها مجازاً بديعاً على معنى الكناية بالمحل عن الفعل الذي يحل به من باب اسم التسيب في العجان^(١)).

قول الله تعالى من ﴿ وَرَبِّبْتُكُمْ لِذَلِكَ فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ (٢٣) [سورة النساء - الآية ٢٣].

﴿الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ كناية عن الجماع كقولهم: بنى عليها، وضرب عليها الحجاب. قال ابن العربي: ودليل ذلك ما قاله سائر العلماء والصحابة: إن العقد على البنت يُحرّم الأم، ولا تحرم البنت حتى يدخل بالأم^(٢).

والله كريم يكنى بما يشاء، وقد عبر - بهذه الآية - عن القبيح بما تسيغ الأذان سماعه.

قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَيِّتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢٥) [سورة النساء - الآية ٢٥].

﴿وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ استعارة تصريحية، فأجورهن - في الآية - بمعنى مهورهن، وقد شبه المهر بالأجر وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به على طريقة الاستعارة التصريحية. وقد حسن تشبيهه المهر بالأجر - في هذا الموضع - لملاحظة قوامة الرجل على المرأة، وكان هذا الأجر على تحملها قوامة الرجل عليها. وكان التشبيه - قبل الاستعارة - وافياً

(١) أحكام القرآن ١/٣٧١.

(٢) أحكام القرآن ١/١٧٦.

بإفادة الغرض؛ إذ بالمهر يملك الزوج السلطة على المرأة وينزل منها منزلة المالك مع المملوك فيما بذل من العوض فتكون منقعتها بذلك له^(١).

ومما تجدر ملاحظته أن الله - تعالى - سعى المهر في أول السورة نِحْلَةً، بمعنى عطية دون مقابل لملاحظة استمتاع كل من الرجل والمرأة بالآخر ويكون المهر - والحالة هذه - تكريماً للمرأة من الله تعالى.

قال أصحاب الشافعي: النكاح عقد معاوضة، انعقد بين الزوجين، فكل واحد منهما بَدَلٌ عن صاحبه، ومنفعة كل واحد منهما بصاحبه عوض عن منفعة الآخر، والصداق زيادة فرضه الله تعالى على الزوج لما جعل له في النكاح من الدرجة، ولأجل خروجه عن رسم العوضية جاز إخلاء النكاح عنه والسكوت عن ذكره، ثم يفرض بعد ذلك بالقول، أو يجب بالوطة^(٢).

قول الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٣٢] في قوله (مما اكتسبوا) تشبيهاً؛ شبه استحقاقهم للإرث، وتملكهم له بالاكتساب، مع إيضاح المعنى في كل، واستعير الاكتساب لأحقيتهم في تملك المال الموروث، ثم اشتق من الاكتساب بمعنى أحقيتهم في الإرث (اكتسبوا) بمعنى: استحقوا، على طريقة الاستعارة التبعية.

وقد سميت الاستعارة - بهذه الطريقة - تبعية؛ لأنها تجرى في الأفعال والأسماء المشتقة تبعاً لجريانها في مصادرها؛ فقوله (مما اكتسبوا) جرت في الفعل (اكتسب) تبعاً لجريانها في المصدر (اكتساب)، والفعل مشتق من المصدر، فكل تصرف يجري في المصدر، يجري نظيره في الفعل تبعاً له.

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٤٣].

﴿الغَائِطِ﴾: المطمئن من الأرض، وقد كنى الله - تعالى - به عن قضاء الحاجة لأنهم كانوا إذا أرادوا قضاءها أتوا الغائط رغبةً في التستر، فكنى به عما يخرج من السبيلين، وهذا باب من التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه.

(١) أحكام القرآن ١/٣١٧.

(٢) المصدر نفسه ١/٣١٦ - ٣١٧.

- (2) 113 / 113
- (3) 3681 - 5681 / 1
- (4) 1 / 133
- (5) 1 / 133
- (6) 1801 / 1

ਇਹ ਸਾਰੇ ਕੇਸਾਂ ਵਿੱਚ ਮੁਕੱਦਮੇ ਦਾ ਖਤਮ ਹੋਣ ਤੱਕ ਮੁਕੱਦਮੇ ਵਿੱਚ ਸ਼ਾਮਲ ਹੋਏ ਸਾਰੇ ਵਿਅਕਤੀਆਂ ਨੂੰ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ।

ਮੁਕੱਦਮੇ ਵਿੱਚ ਸ਼ਾਮਲ ਹੋਏ ਸਾਰੇ ਵਿਅਕਤੀਆਂ ਨੂੰ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ।

ਮੁਕੱਦਮੇ ਵਿੱਚ ਸ਼ਾਮਲ ਹੋਏ ਸਾਰੇ ਵਿਅਕਤੀਆਂ ਨੂੰ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ।

ਮੁਕੱਦਮੇ ਵਿੱਚ ਸ਼ਾਮਲ ਹੋਏ ਸਾਰੇ ਵਿਅਕਤੀਆਂ ਨੂੰ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ।

ਮੁਕੱਦਮੇ ਵਿੱਚ ਸ਼ਾਮਲ ਹੋਏ ਸਾਰੇ ਵਿਅਕਤੀਆਂ ਨੂੰ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ। ਇਹ ਸੁਰੱਖਿਅਤ ਰੱਖਣ ਦੀ ਜ਼ਰੂਰਤ ਹੈ।

بتفاوت بين درجات التعبير بها فيقول: متى كانت الكناية عُرْضِيَّةً.. كان إطلاقى اسم التعريض عليها مناسباً، وإذا لم تكن كذلك نُظِرَ، فإذا كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنها متباعدة لتوسط لوازم كما فى (كثير الرماد) وأشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد، وإن كانت ذات مسافة قريبة من نوع الخفاء كنحو (عريض القفا) أو (عريض الوسادة) كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً، لأن الرمز هو: أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية.. وإن كانت لا مع نوع الخفاء كقول أبى تمام:

أَبَيَّنَ فَمَا يَزُرُّنْ سَوَى كَرِيمٍ وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدٍ

فإنه فى إفادة: أن أباً سعيد كريم غير خاف، كان إطلاق اسم الإيماء والإشارة عليها مناسباً^(١).

قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْمَالِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣﴾ [سورة النساء - الآية ٥٣] تعريض فى هذه الآية بشدة بخل اليهود وقلة جودهم بأقل الأشياء وأبسطها وهو النقير بمعنى النكتة التى تكون فى ظهر النواة.

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۝٤٤﴾ [سورة النساء - الآية ٤٤].

(يشترون الضلالة) أى يختارون الضلالة، وقد شبه الاختيار بالاشتراء، ثم استعير له لفظ الاشتراء، ثم اشتق منه ﴿يَشْتَرُونَ﴾ بمعنى يختارون على طريق الاستعارة التبعية. ومن يشتر شيئاً فهو أحرص عليه. والآية فى علماء اليهود الذين كانوا يزيِّفون الحقائق للامة، ويسدون عليهم منابع الهدى من رسالة محمد ﷺ، ولذا فإن الله تعالى وصفهم بالإضلال فى قوله ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۝٤٤﴾ [سورة النساء - الآية ٤٤] فهم ضالون لأنفسهم ومضللون لغيرهم.

قول الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا بِلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ۝٤٦﴾ [سورة النساء - الآية ٤٦] اللئى: هو الفتل بالحبل، وأصله التواء طرفى الحبل وعدم استقامتهما لفائدة تقويته. وقد شبه كلام اليهود الذين قصدوا به غير ظاهره باللى بجامع عدم الاستقامة فى كل، ثم استعير اللئى

(١) المصدر السابق. ٤١١ - ٤١٢. وراجع بغية الإيضاح - عبد المتعال الصعدي ١٨٦/٣.

للكلام الذى قُصد به غير ظاهره على طريقة الاستعارة التصريحية؛ حيث إنه صرح بالمشبه به. ولما كان المشبه به مصدراً (لياً) كانت الاستعارة تصريحية تبعية.

قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء - الآية ٥٤].

وروى عن ابن عباس أن المقصود بـ (الناس) - فى هذه الآية - سيدنا محمد ﷺ إذ حسده اليهود على النبوة التى كرمه الله بها^(١).

فكلمة الناس - إذأ - فى الآية مجاز مرسل علاقته الكلية، من باب تسمية الخاص باسم العام، إشارة إلى أنه جمعت فيه كماليات الأولين والآخريين - ﷺ -.

قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ٦٥] فى قوله تعالى ﴿شَجَرَ﴾ استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه التنازع الذى يدخل به بعض الكلام على بعض بما اشتبك وتضايق من الشجر وكان اللفظ المستعار ﴿شَجَرَ﴾ استعارة للمعقول بالمحسوس لتقوية المعنى فى نفس السامع وتوضيحه وإبرازه.

جاء فى دلائل الإعجاز: (واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاءً ازدادت الاستعارة حسناً، حتى أنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد أُلْف تأليفاً إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع)^(٢).

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٌ﴾ [سورة النساء - الآية ٩٢].

﴿رَقَبَةٍ﴾ مجاز مرسل، علاقته الجزئية، فقد أطلق البعض وأراد الكل، والمعنى عتق مملوك، وقد جرى ذكر ﴿رَقَبَةٍ﴾ فى الآية دون أعضاء الجسم؛ لأنها الموضع الذى يُضرب فيه الإنسان فيقتل غالباً.

قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا﴾ [سورة النساء - الآية ٩٤].

الضرب - فى هذه الآية - بمعنى السعى، وقد شبه الضرب بالسعى بجامع حدوث

(١) تفسير القرطبي ٣ / ١٨٢١.

(٢) دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني / ٢٨٤ - ٢٨٥.

المشقة في كل، واستعار الضرب للسمي، ثم اشتق منه الفعل (ضربتم) على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية لفائدة وهي تقوية المعنى وتوكيده.

وقوله ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بمعنى: دين الله، وقد شبه دين الله بالسبيل؛ أى الطريق، بجامع الاستقامة والهداية في كل، وصرح بالمشبه به وهو ﴿ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ على طريق الاستعارة التصريحية.

قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [سورة النساء - الآية ١٢٥].

﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ أى: أسلم وجهته وقصده، وقد شبه الوجهة والقصد بالوجه بجامع الاتجاه المستقيم فى كل منهما، واختار الوجه لأنه أشرف شىء فى الإنسان، ويجمع أشرف الأعضاء كالأذن للسمع، والعين للإبصار، والجبهة للسجود، ثم استعار الوجه للقصد والجهة على طريقة الاستعارة التصريحية الأصلية، لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولاً.

قول الله تعالى: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ [سورة النساء - الآية ١٢٨].
شبه الملازمة بالإحضار، واستعار إحضار الشح لملازمته، ثم اشتق من المصدر (إحضار) الفعل (أحضس) المبني للمجهول على طريقة الاستعارة التبعية.

(ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً، ولا تنفك عنه يعنى أنها مطبوعة عليه. والغرض: أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها، والرجل لا تكاد نفسه تسمح أن يقسم له وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها)^(١).

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [سورة النساء - الآية ١٤٢].

الله - تعالى - لا يخادع، ولكنه شبه الجزاء الذى يجازى به المنافقين على خداعهم مخادعة لبيان أنهم سيلقون جزاءً من جنس عملهم، ثم استعير لفظ المخادعة للجزاء واشتق منها اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته، وكنت أخدع منه، على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية.

قال الزمخشري: وقد قيل إن المنافقين يُعْطَوْنَ على الصراط نوراً كما يُعطى المؤمنون

(١) تفسير الكشاف / ١ / ٣٨٩.

فيمضون بنورهم، ثم يطفأ نورهم، ويبقى نور المؤمنين فينادون: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ (١٣) ﴿[سورة الحديد - الآية ١٣]﴾.

قول الله تعالى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (١٥٧) ﴿[سورة النساء - الآية ١٥٧]﴾ هذه الآية حكاية عن اليهود بقولهم: قتلنا المسيح عيسى بن مريم (رسول الله) وهم لم يؤمنوا برسالته، بدليل عدم تصديقهم بها، وإنما قالوا بذلك تهكماً وسخرية منه (عليه السلام) وتعريضاً به. يقول الزمخشري: (ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية، رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به، وتعظيماً له)^(١).

قول الله تعالى: ﴿لَنَكِينِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (١٦٢) ﴿[سورة النساء - الآية ١٦٢]﴾ في قوله (الراسخون) استعارة تصريحية تبعية. فقد شبه الثبوت في العلم والتمكن فيه بالرسوخ، واستعار الرسوخ للثبوت والتمكن واشتق من فعل الرسوخ (رسخ) واسم الفاعل (راسخ). والراسخون في العلم هم الذين آمنوا من اليهود كعبد الله ابن سلام وأمثاله.

□□□

(١) الزمخشري - تفسير الكشاف - ١ / ٣٩٢.

(٢) نفس المصدر ١ / ٣٩٦.

الخاتمة

وبعد...

فهذه دراسة متواضعة لسورة من سور القرآن تشرفت بالبحث فيها وعمل دراسة حول معانيها السامية، وما هذه الدراسة إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر خضم حافل بالمعاني السامية، والأحكام العظيمة التي لو طبقها مجتمع لحلّق في آفاق المجد وارتقى إلى مرتبة السمو والرفعة.

وكانت دراستي للسورة تشمل جوانب متعددة لإلقاء الضوء عليها وتوسيع دائرة النفع بها؛ فكان الباب الأول يشتمل على تاريخ نزول السورة والقراءات المحتملة لها وتجميع الموضوعات المتعددة التي تناولتها السورة وهو ما يسمى بالدراسة الموضوعية.

وكان اختيار الدراسة في تاريخ النزول لأنه لون من ألوان الدراسات لم أجد له اهتماماً بالغاً كبقية العلوم القرآنية، وليس له سجل معروف إلا ما كان منشوراً في مصنفات أسباب النزول، والتي يشير فيها أصحابها إلى تاريخ نزول بعض الآيات؛ كما هو الشأن في لباب النقول للسيوطي. علماً بأنها دراسة تحظى بأهمية بالغة ونفع زائد؛ ذلك أن معرفة تاريخ النزول تساعد على معرفة الناسخ والمنسوخ من آيات الأحكام؛ فإذا عُرف آخر حكم نزل في أمر من الأمور، لكان هذا الحكم ناسخاً لما قبله؛ كقول الله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَدْحَشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٥] إذا قورن بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة النور - الآية ٢] لأوهم البعض أنهما حكمان مختلفان على أمر واحد، ولا يزول الوهم إلا إذا عُرف أن الآية الأولى التي في النساء، أسبق نزولاً من آية النور، وكانت تمهيداً لها وتدرجاً لما جاء في السورة من أحكام.

ودراستي لتاريخ نزول آيات سورة النساء كانت أساساً لمعرفة الفترة الزمنية التي نزلت فيها السورة.

وبعد أن تعرفت إلى تاريخ نزول بعض آيات السورة من خلال معرفة سبب نزول كل

آية من هذه الآيات، ومقارنته تاريخياً بحادثته من كتب السير والتاريخ، تبين لى أن سورة النساء، بدأ نزولها منذ العام الأول الهجري، وظلت مفتوحة طوال العهد المدني حتى نهايته تقريباً بنزول آية الكلاله الأخيرة، والتي أجمعت كل الآراء أنها آخر ما نزل من الأحكام، إن لم تكن آخر آية نزلت من القرآن على الإطلاق^(١).

وبهذا أخالف المرحوم سيد قطب^(٢) فيما ذهب إليه من أن آيات هذه السورة امتد نزولها من بعد غزوة أحد فى السنة الثالثة للهجرة إلى ما بعد السنة الثامنة. ولا أدرى كيف استطاع أن يجزم بهذا الرأى وهناك آيات من السورة صريحة النزول فى غزوة بدر مثلاً، والتي كانت فى السنة الثانية للهجرة، وكيف أهمل تاريخ نزول آية الكلاله فى آخر السورة والتي كانت آخر ما نزل من آيات الأحكام.

وأختلف مع الأستاذ عبدالمتعال الصعیدی الذى يرى أن نزول السورة امتد من السنة السادسة للهجرة إلى السنة التاسعة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك^(٣).

وأستطيع القول أن سورة النساء كلها مدنية، خلافاً لمن قال إنها مكية كالنحاس؛ - مثلاً - الذى يرى أنها كذلك لاحتوائها على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء - الآية ٥٨] الآية التى نزلت فى جوف الكعبة^(٤).

وأنتفق مع العالم الجليل (القاسمى) الذى يقول: لا يلزم من نزول آية أو آيات من سورة طويلة تنزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية خصوصاً - والأرجح - أن كل ما نزل بعد الهجرة فهو مدنى^(٥).

وقد صرحت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - بقولها: ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله ﷺ. ومن المعروف أن الرسول ﷺ بنى بها وهو بالمدينة. وأما دراسة ما جاء فى السورة من أوجه القراءات المختلفة من خلافات نحوية فلم تكن إلا لضبط قراءة السورة واستنباط أحكام أخرى باختلاف القراءة بالآية الواحدة، ومن يوم أن نشأ علم القراءات فى عهد رسول الله ﷺ وهو يؤدى دوراً مرموقاً، ويحتل مكانة سامية بين علوم القرآن الكريم.

(١) انظر متن البخارى بحاشية السندى ١٢٣/٣، والإتقان للسيوطى ١٠٢.

(٢) فى كتابه: فى ظلال القرآن

(٣) فى كتابه النظم الفنى فى القرآن - ٧٦.

(٤) راجع فى ذلك: محاسن التأويل للقاسمى ٥ / ١٠٩٢.

(٥) المصدر نفسه ونفس الصفحة. والقرطبى ٣ / ١٩٤٧.

ودراستي - فى هذا المجال - قامت على معرفة القراءات التى وردت حول الآيات موضوع الدراسة من كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزري، والذى يعد من أشهر الكتب فى هذا المجال، ومقارنة كل قراءة بأخرى فى الآية الواحدة، واستخلاص ما أحدثه اختلاف القراءة من معان جديدة، وذلك بالاسترشاد ببعض آراء العلماء ودراستهم لنفس الآية كما فى قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [سورة النساء - الآية ١٩] فمن قرأ (كرهاً) بضم الكاف فعلى معنى التحذير من أخذ النساء على سبيل الإرث وهن كارهات لذلك. ومن قرأ بفتح الكاف، فعلى معنى التحذير من أخذهن على سبيل الإرث وقد أكرهتموهن على ذلك.

وكتقراءة (والمحصنات) و (محصن) و (محصنين) و (أحصن) قرئت هذه الحروف جميعها بفتح الصاد وكسرها إلا الحرف الأول (والمحصنات) فى قوله تعالى: ﴿وَأَلْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٤] ومن خلال ذلك تبين أن المراد باللفظ ذوات الأزواج، إذ لم يقرأ أحد بالكسر، ولو قرئت بالكسر، لاحتملت معان متعددة وهي: حرمة الزواج بالمسلمة، أو بالحرّة، أو بزوجة الغير، حيث إن الإحصان يحتل هذه المعانى كلها وهذا ما يناقض الواقع.

وأما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٥] فقد قرئت (أحصين) بفتح الصاد وكسرها بما أوجد اختلافات فى وجهات نظر العلماء حول مفهوم الإحصان.

وقراءة (لمستم ولاستم) فى قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [سورة النساء - الآية ٤٣] فاللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس^(١) والملامسة أكثر ما جاءت من اثنين^(٢) وعلى هذا فإن بعض الفقهاء قد علقوا أحكاماً مختلفة حول مفهوم هذه القراءة فمنهم من أخذ بظاهر اللفظ فقال: إن لمس المرأة ينقض الوضوء، ومنهم من جعل اللمس والملامسة، كناية عن الجماع. وأما من لمس بمعنى أدراك ظاهر البشرة فقط، فلا شىء عليه؛ واحتجوا بما أثر عن النبى ﷺ أنه قبل بعض نسائه ولم يتوضأ^(٣).

(١) مفردات الراغب/ ٤٥٤.

(٢) لسان العرب مادة (ل م س).

(٣) انظر عمدة التفسير ١٨٥/٣.

ذلك هو علم القراءات، وتلك أهميته ومكانته؛ إعمال للعقل، وزيادة إدراك لمعاني كتاب الله العظيم، واختلاف في الأحكام بما يبسر على المسلمين أمر دينهم. والفصل الثالث من الباب الأول كان تجميعاً للموضوعات الرئيسية التي تناولتها سورة النساء وهو ما يُعرف بـ (الدراسة الموضوعية).

وقد نشأ هذا العلم منذ زمن بعيد حينما استطاع العلماء الأوائل بما كان لديهم من قدرة فائقة على الفهم والتجميع، أن يستنبطوا الأصول والأحكام من الآيات القرآنية؛ ليكونوا مفاهيمهم الفقهية المعروفة، ولم تكن مصنفات الفقه فحسب الثمرة الوحيدة لهذه الدراسة، بل إن علوماً متعددة كالأخلاق والعقيدة وغيرها كانت ثمارها.

وفي العصر الحديث قام المستشرق الفرنسي (جول لابوم)^(١) بمحاولة من هذا النوع؛ حيث جمع كل الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد ووضعها تحت عنوانها ولم يتعرض لشرحها. ويلاحظ أن هذا التبويب تعوزه الدقة والإحكام في اختيار بعض الآيات لموضوعها الحقيقي.

كما هذا الدكتور أحمد إبراهيم مهنا^(٢) هذا الحذو؛ على خلاف ملحوظ بينهما في اختيار الآيات لموضوعها.

ودراستي تختلف عن دراسة كليهما؛ فهما لم يتعرضا لشرح الآيات، أما دراستي هذه - فقد قمت بشرح مبسط لمجموعة الآيات ذات الموضوع الواحد شرحاً يكشف عن طبيعتها، ويجزم بانتمائها لموضوعها.

وتبين لي أن السورة تناولت موضوعات حيوية هي عماد كل أمة وأساس كل دستور؛ فالعقيدة كانت هي المرتكز الرئيسي والمحور الأساسي لكل موضوعات السورة؛ فقد أولت المرأة عناية بالغة وتكريماً عظيماً من خلال العقيدة، بما يحق لها أن تباهى بمكانتها هذه، وتستطيع أن ترد على أولئك الأفاقين المغالين الذين يدعون - كذبا - أن الإسلام هضم المرأة حقها وألبسها ثوبا جامدا لا تستطيع أن تحيد عنه، ويكفي أن السورة قد سميت باسمها، هذا الاسم الذي يحمل كل معاني التكريم لذلك النوع المستضعف الذي كان يلاقى الذل والهوان في مجتمع جائر وبيئة ظالمة. وقد بينت ذلك في موضعه.

كما نبهت السورة إلى خطورة أعداء المجتمع المسلم في الداخل والخارج: فأعداؤه في

(١) في كتابه تفصيل آيات القرآن الحكيم.

(٢) في كتابه - تبويب آي القرآن من الناحية الموضوعية.

الداخل المنافقون، وهم من الخطورة بمكان؛ حيث إنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والعداء للمسلمين، ولولا لطف الله بالمسلمين وتنبههم لهؤلاء لفعلوا الأفاعيل، ولا استطاعوا أن ينالوا من صرح الإسلام ما لم تنله أيدي أعدائه الظاهرين. وقد كشفت السورة نواياهم الخسيسة، وهتكت أسرارهم الدنيئة، وحددت هويتهم للرسول ﷺ وللمسلمين؛ حتى يأخذوا حذرهم. ومما يلاحظ أن حديث السورة في هذا الشأن كان امتداداً لحديث سورتي البقرة وآل عمران.

وأعداء المجتمع في الخارج؛ هم اليهود والنصارى والمشركون. ولم تترك السورة هؤلاء يعيشون ويرمون المجتمع الإسلامى بسهام العداوة والكفر، ولكنها دعتهم إلى توحيد الله تعالى، وبيئت لهم - وخاصة أهل الكتاب منهم - أن محمداً لم يكن بدعاً من الرسل، وأن دعوته امتداد لدعوة أنبيائهم؛ إذا المصدر واحد.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَّ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [سورة النساء - الآية 163] ولاحظت أن الآيات التي تناولت الحديث عن اليهود جاءت في مجموعات متفرقة من السورة كل مجموعة تفضح أمراً لهم وتبين خسة من خسائسهم. فالآيات (٣٧ - ٣٨ - ٣٩) وصف لأخلاق اليهود الدنيئة فى البخل، بل ويأمرون غيرهم به.

والآيات (٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥) اثنتا عشرة آية؛ تبين خبثهم ومكرهم وبعض الصفات الذميمة التي تتملكهم. والآيات (١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢) ثلاث عشرة آية تتحدث عن أخلاق غاية فى الخسة لليهود بما هو معروف عنهم.

والآيات (١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣) تتحدث عن أوضاع وأخلاق وضیعة لهم، بحيث إنهم لم يتركوا جرماً إلا ارتكبهوه، ولا عيباً إلا اقترفوه ولا خلقاً دنيئاً إلا فعلوه، فلعنة الله عليهم إلى يوم الدين.

وأما الباب الثانى: فقد كان دراسة فقهية؛ لمعرفة ما جاءت به السورة من أحكام. وقد لاحظت أن سورة النساء جاءت بمجموعة أحكام وقوانين لم ترد فى غيرها من سور

القرآن كله؛ كتوزيع المواريث، وتعدد النساء التي يحرم الزواج بهن.

ولاحظت أن حديث السورة في مجال الأحكام كان ذا شقين: شق يربط الإنسان بربه برباط العبادة والطاعة والولاء. وشق ينظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان؛ حتى يكون جديراً باستخلاف الله له في الأرض؛ ومن هنا كان تنبيه السورة للمسلم أن يحافظ على عقله فنبهته إلى مزار السكر، وإلى محافظة المسلم على علاقته بربه حتى في أشد أحواله؛ فكان بيان صلاة السفر، وصلاة الخوف وكيفية أدائها مع رسول الله ﷺ.

وفيما تدعو إليه السورة من طهارة المسلم داخلياً وخارجياً أمرت بالاعتسال من الجنابة، وشُرِعَ فيها التيمم بديلاً للغسل والوضوء، في حال عدم توفر الماء الزائد عن الشرب؛ للتخفيف على المسلمين، ورفع الحرج عنهم، ومداومتهم على العبادة تحت أى ظرف من الظروف.

وأما ما ينظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فكانت تشريعات السورة التي نظمت هذه العلاقة تنظيمًا دقيقًا ومحكمًا وعادلاً.

وأول حديث السورة في هذا الشأن؛ هو نظام التوريث الإسلامي، الذي أبطل ما ألقه العرب من فوضى واضطهاد لنوعيات مستضعفة في مجتمعهم؛ كالنساء والصغار الذين كفلت لهم السورة حقوقهم كاملة غير منقوصة، وحددت للمرأة نصيباً مفروضاً من الميراث، بل إنها جعلت هذا النصيب هو المكial الذي يورث الذكر على أساسه: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [سورة النساء - الآية ١١] وشمل قانون التوريث أصنافاً وأعداداً كثيرة من أقارب الميت؛ مبتدئاً بالأهم فالهم وأوجدت نظام التوريث بالكلالة؛ وهم الذين يرثون عند فقد الأصل الوارث، أو الفرع الوارث.

ومما هو جدير بالذكر أن السورة - في سياق حديثها عن علم المواريث - تناولت أصول الموضوع وفروعه وجزئياته، حديثاً مستفيضاً، وتقسيماً واضحاً، بما لا يترك مجالاً لمجتهد، أو ذى رأى فاسد فالأمر من الأهمية القصوى، حتى تولى الله تعالى بنفسه التقسيم؛ فلا يضيع حق من الحقوق لأى إنسان مهما كانت درجته.

وثانى ما تناولته السورة فيما ينظم علاقة الإنسان بالإنسان هو قانون الزواج، فحددت أنواعاً من النساء يحرم الزواج بهن؛ لحكمة عالية وقدرة عظيمة، بما هو مبين في موضعه. ويبقى السر الحقيقي مجالاً للبحث وطريقاً للاستنباط من كتاب الله الحكيم «ألا يعلم من

خلق وهو اللطيف الخبير» فما حُرِّم الزواج من الأم؛ إلا للمحافظة على علاقة الأمومة الطيبة الطاهرة، بحيث لا يشوبها إذلال الوطء واستعباد الزواج؛ وإلا فكيف يقع إنسان على أمه، والأصل أن يكون خافضاً لهاً جناح الذل من الرحمة؟ وما يقال عن الأم يقال عن الأخت، والبنت، مع فارق طفيف تفرضه درجة القرابة بينهما.

وامتداداً لتنظيم السورة للمجتمع المسلم، يَبْنَتْ حد القاتل عن طريق الخطأ؛ وذلك لاستتباب الأمن في المجتمع، وحتى يكون الإنسان حذراً في كل تصرفاته. فبينت أن من قتل مؤمناً خطأ، فتحريـر رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يتصدق أهله. فإن كان المقتول مؤمناً من قوم أعداء للمسلمين، فتحريـر رقبة مؤمنة، ولم تذكر السورة دية في هذه الحالة كي لا يتقوى بها أعداء المسلمين عليهم ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [سورة النساء - الآية ٩٢] قانون - إذن - يضمن سلامة المجتمع ويحفظ أمنه ويجعل كل فرد فيه يشعر بالحرية والعزة والكرامة ﴿وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ﴾ [سورة المنافقون - الآية ٨].

ولم يقتصر حديث السورة على جنـايات القصاص، بل إنها ذكرت نوعاً آخر من الجنـايات وهو جنـايات الحدود. ولم يكن الحد الذي وضعته السورة للزانية الحرة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ١٥] حداً نهائياً، ولكنه تمهيد لما جاء بعد سورة النور ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [سورة النور - الآية ٢] أما حد الأمة الزانية فقد بينته السورة بأنه؛ نصف ما على المحصنة، وذلك مبين في موضعه.

وكان الباب الثالث: دراسة لدلالة الكلام البيانية؛ والقرآن الكريم أعلى منازل البيان، وأسمى مراتبه لما جمع من وجوه الحسن وأسبابه، وهو معجزة الله الخالدة لرسوله الكريم على مر العصور، وبالرغم من أن القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين، إلا أنه اختلف عن أي نظم نظمته العرب؛ وهم يومئذ أرباب الفصاحة وأساطين اللغة، وتحداهم الله تعالى - مع اجتماع الجن معهم - أن يأتوا بمثله، أو ببعض منه، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ولكنهم فشلوا وخارت قواهم البيانية، وهزموا هزيمة نكراء، وانقلبوا صاغرين، وذهبت آراؤهم كل مذهب في سر إعجاز هذا القرآن العظيم؛ فمن قائل بلفظه، ومن قائل بنظمه،

ومن قائل بإخباره بالمغيبات، ومن قائل بالصرفة^(١). وليتهم ما قالوها، إلى آخر ما ذهب إليه آراؤهم.

وبدراسة اللفظ القرآني في سورة النساء يتضح أن كلماتها نزلت منازلها، بحيث لا ترى كلمة زائدة، أو حرفاً مضطرباً، وحتى لو استبدلنا كلمة بمرادفها لمجت الأذن سماعها، واختل نظم الآية التي هي فيها؛ فكلمة مثل (بث) من مرادفاتهما: نشر، وفرق، إلا أن أياً منها لا تؤدي ما أدته (بث) في مكانها من الآية.

وهكذا في كل ألفاظ القرآن الكريم، وحتى الكلمات غير العربية في السورة من نبطية ورومية وحبشية كانت العرب قد أنزلتها في فصيحها، فصارت فصيحة وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف - الآية ٢] يقول الرافعي وارتبطت الكلمة الواحدة بالجملة (الآية) ارتباط العضو بالجسد؛ بحيث إن اللفظ بعينه لا يصلح إلا في قالب جملة فيروع البيان ويحكم النظم ويعذب الجرس.

وقد لاحظت أن لسورة النساء ألفاظاً بعينها، اختصت بها ولم ترد في غيرها من سور القرآن كله مثل (حوباً - نحلة - كلاله - أفضى - ربائب - حجر - ثبات - يبطنن - يستنبطونه - مقيتا - أركس - مراغما - يبتكن - مذبذبين - يستنكف).

ومن خلال دراسة تراكيب السورة، لاحظت أن الجملة القرآنية ذات نفس طويل، يتناسب وطبيعة الأحكام التي اشتملت عليها. ويتضح أن الجملة في السورة المدنية كسورة النساء تخلو مما تميزت به جملة القرآن المكي من موسيقى ظاهرة ناتجة عن المحسنات، أما الموسيقى في سورة النساء فإنها داخلية تحسها النفس، ويشعر بها الوجدان عند قراءة الآيات، وهي ناتجة عن دقة النظم وإحكام الصياغة.

والجملة القرآنية؛ تطول أحياناً، وتقصر حيناً في السورة، بحسب الموضوع الذي تتناوله، دونما خلل في قصرها أو ملل من طولها وهي في كلا الحالين تخدم غرضاً بلاغياً بعينه؛ فالإطناب في قوله تعالى: «فادفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ..» ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٦] لتأكيد الدفع والحث عليه وسرعة تنفيذه. وتكرار ألفاظ بعينها في الآية الواحدة؛ كلفظ (اتقوا) في مفتتح السورة؛ للتشديد على هذا الأمر وبيان أهميته، ثم هو لتحقيق غرض آخر لإيجاد نوع من الموسيقى إذ التكرار قام على وحدات متساوية.

(١) أي أنهم كانوا يستطيعون الإتيان بمثله - على حد زعمهم - ولكن الله صرفهم عن ذلك.

والحذف في بعض الآيات عندما يقوم الدليل عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَبِتَّ مِنْهَا رَجَالًا كَثِيرًا ۖ وَنِسَاءً ۗ﴾ [سورة النساء - الآية ١] لإعمال العقل، فلم توصف النساء بالكثرة لوصف الرجال به قبله.

وعطف الجملة على الأخرى كما في قوله تعالى ﴿وَأَتُوا الِيتَمَّ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۗ﴾ [سورة النساء - الآية ٢] للتأكيد والتشديد والمبالغة في تنفيذ الحكم.

والجمل الفعلية أكثر وروداً من الاسمية. وذلك له دلالة بعينها؛ ذلك أن سورة النساء احتوت على كثير من الأحكام والأوامر والنواهي التي يجب على المسلمين اتباعها في كل زمان ومكان.

ولاحظتُ أن هناك ترابطاً بين أول السورة وآخرها؛ فلكل مجموعة من الآيات خيط دقيق ينظمها مع مجموعتها ثم هو متصل في النهاية بموضوعات السورة ككل، على الرغم من تعدد وتباين تلك الموضوعات؛ فآية الكلاله - مثلاً - في أول السورة ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۗ﴾ [سورة النساء - الآية ١٢] ترتبط تماماً بآية الكلاله في آخر السورة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۗ﴾ [سورة النساء - الآية ١٧٦] على أن الأولى تتناول الإخوة لأم، والأخيرة تتناول الإخوة الأشقاء، أو لأب، ولكنهما على أية حال كلاله. ويلحظ أن آية الكلاله الأخيرة أزلت الغموض الذي ربما يقع فيه البعض حول مفهوم آية الموارث: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلرَّجُلِ مِثْلُ مِثْلِ الرَّجُلِ ۗ﴾ فهذه الآية بينت نصيب البنت الواحدة، أو أكثر، بقوله تعالى: «فوق اثنتين». وأن في آية الكلاله الأخيرة بيان لنصيب الأختين الشقيقتين، أو - لأب، وهو الثلثان عند عدم وجود الأصل الوارث، أو الفرع الوارث، ولما كانت البنات ألصق بالموروث من الأختين، صار الإجماع على جعل نصيب البنيتين الثلثين.

والصورة الفنية في سورة النساء صورة جزئية؛ تتمثل في المجاز، والكناية، وهي مباحث علم البيان؛ لإظهار معاني السورة وتوضيحها؛ فهي تعدل عن اللفظ الظاهر، إلى ما هو أبلغ فيقع في النفوس موقعاً حسناً.

وقد أدت الصورة دورها في توضيح المعنى، وإظهاره، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۗ﴾ [سورة المائدة - الآية ١٠]

المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة - دار الفكر - بيروت.
- ٢ - ابن الجوزي، أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف: النشر في القراءات العشر - مطبعة مصطفى محمد - مصر
- ٣ - ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، ت ٥٤٣هـ: أحكام القرآن - تحقيق علي محمد البجاوي - طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٤ - ابن القيم، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، ت ٧٥١هـ: أعلام الموقعين عن رب العالمين - مطبعة الحاج عبدالسلام بن محمد شقرون، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٥ - ابن جنس، أبو الفتح عثمان، ت ٣٠٢هـ: الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الهدى - بيروت.
- ٦ - المحتسب في شواذ القراءات، تحقيق علي النجدي وعبدالفتاح شلبي، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٩م.
- ٧ - ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، ت ٨٥٢هـ: الإصابة في تمييز الصحابة - تحقيق د. طه محمد الزيني. مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٨ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري. المطبعة البهية المصرية ١٣٨٤هـ.
- ٩ - ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: المحلى. المطبعة المنيرية ط. أولى ١٣٥١هـ.
- ١٠ - ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي المالكي، ت ٥٩٥هـ: بداية المجتهد ونهاية المقتصد - المكتبة التجارية بمصر.
- ١١ - ابن عابدين، محمد أمين، ت ١٢٥٢هـ: حاشية رد المحتار على الدر المختار - شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبو حنيفة - طبع مصطفى البابي الحلبي. ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ١٢ - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي - تحقيق السيد أحمد صقر. مطبعة عيسى البابي الحلبي. ١٩٧٧م.

- ١٣ - بن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، ت ٢٧٦هـ: تأويل مشكل القرآن - شرح السيد أحمد صقر - دار التراث ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ١٤ - ابن قدامة ، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد ، ت ٦٢٠هـ: المغنى ، على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبدالله بن أحمد الخرقى ، ت ٣٤٣هـ ، تحقيق د. طه محمد الزيني ، مكتبة القاهرة. ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ١٥ - ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، ت ٧٧٤هـ: عمدة التفسير ، تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
- ١٦ - ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي: السبعة في القراءات. تحقيق د. شوقي ضيف. دار المعارف.
- ١٧ - ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد ، ت ٧١١هـ: لسان العرب. دار المعارف ١٩٧٩م.
- ١٨ - ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري ، ت ٢١٨هـ: سيرة النبي. دار الفكر ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- ١٩ - أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - دار الأنصار ١٩٧٧م.
- ٢٠ - أبو الطيب ، محمد شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود ، مع شرح الحافظ بن قيم الجوزية. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية. ١٣٨٨هـ
- ٢١ - أبو مالك ، كمال بن السيد سالم: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة. المكتبة التوفيقية.
- ٢٢ - أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٢٣ - الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود ، ت ١٢٧٠هـ: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني - دار الفكر بيروت. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٤ - البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة ، ت ٢٥٦هـ: صحيح البخاري - دار ومطابع الشعب.
- ٢٥ - متن البخاري بحاشية السندی. عيسى البابي الحلبي.
- ٢٦ - الترمذی ، عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة ، ت ٢٧٩هـ: سنن الترمذی. تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصطفى الحلبي ١٣٥٦هـ.

- ٢٧ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، ت ٢٥٥هـ: البيان والتبيين - تحقيق السندوبى. مطبعة الاستقامة بالقاهرة. ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- ٢٨ - الحيوان - تحقيق عبدالسلام هارون. دار إحياء التراث العربى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- ٢٩ - الخازن، علاء الدين على بن محمد البغدادى: لباب التأويل فى معانى التنزيل. مطبعة التقدم العلمية بمصر ١٣٣١هـ.
- ٣٠ - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت ٥٠٢هـ: المفردات فى غريب القرآن. دار المعرفة بيروت.
- ٣١ - الرماني، أبو الحسن على بن عيسى، ت ٣٨٦هـ: النكت فى إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام. دار المعارف ١٩٧٦م.
- ٣٢ - الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ت ٥٢٨هـ: أساس البلاغة. مطبعة دار الكتب ١٩٧٣م.
- ٣٣ - الكشاف. المطبعة العامرة بالقاهرة. ١٣٠٨هـ.
- ٣٤ - السرخسى، أبوبكر محمد، ت ٥٠٠هـ: المبسوط - طبع ونشر دار المعرفة.
- ٣٥ - السكاكى، أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على، ت ٦٣٦هـ: مفتاح العلوم. دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٣٦ - السيوطى، جلال الدين عبدالرحمن، ت ٩١١هـ: الاتقان فى علوم القرآن. مصطفى البابى الحلبي. ٣٩٨هـ.
- ٣٧ - أسرار ترتيب القرآن - تحقيق عبدالقادر أحمد عطا. دار الاعتصام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٣٨ - شرح عقود الجمان. عيسى الحلبي.
- ٣٩ - لباب النقول فى أسباب النزول. مصطفى الحلبي ١٩٥٤م.
- ٤٠ - معترك الأقران فى إعجاز القرآن - تحقيق محمد على البجاوى. دار الفكر العربى.
- ٤١ - الشوكاني، محمد بن على بن محمد، ت ١٢٥٠هـ: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار - تحقيق طه عبدالرؤف سعد ومصطفى محمد الهوارى - مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٤٢ - الطبرى، أبوجعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ: تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف ١٩٦٨م.

- ٤٣ - تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) - تحقيق محمود محمد شاكر. دار المعارف مصر.
- ٤٤ - العكبري، أبوالبقاء عبدالله بن حسين بن عبدالله، ت ٦١٦هـ: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن. دار الكتب العلمية ببيروت. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٤٥ - الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد بن محمد، ت ٥٠٥هـ: إحياء علوم الدين. عيسى البابي الحلبي.
- ٤٦ - الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ت ٦٠٤هـ: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. دار الفكر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٤٧ - الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. مصطفى البابي الحلبي. ١٣٧١هـ.
- ٤٨ - القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل. عيسى البابي الحلبي. شرح وتعليق محمود فؤاد عبدالباقي.
- ٤٩ - القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن. دار الشعب ١٩٧٣م.
- ٥٠ - النسائي، الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب. ت ٣٠٣هـ: سنن النسائي (المجتبى). مصطفى الحلبي ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- ٥١ - الواحدى، أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسبوري، ت ٤٦٨هـ: أسباب النزول. مؤسسة الحلبي. ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٥٢ - جول لا بوم، مستشرق فرنسى: تفصيل آيات القرآن الحكيم. ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي. دار الكتاب العربى. ١٩٦٩م.
- ٥٣ - سيد سابق: فقه السنة. مكتبة الآداب. ١٩٧٧م.
- ٥٤ - سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن. دار المعارف. ١٩٧٥م.
- ٥٥ - فى ظلال القرآن. دار الشروق. ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٥٦ - مشاهد القيامة فى القرآن. دار المعارف. ١٩٧٦م.
- ٥٧ - شهاب الدين القسطلانى، ت ٩٢٣هـ: لطائف الإشارات لفنون القراءات - تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبدالصبور شاهين. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

- ٥٨ - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ. دار المعارف. ١٩٧٧م.
- ٥٩ - عبدالقادر عودة: التشريع الجنائي فى الإسلام مقارناً بالقانون الوضعى. مؤسسة الرسالة بيروت. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٦٠ - عبدالقاهر الجرجانى، ت ٤٧١هـ: أسرار البلاغة. شرح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجى. مكتبة القاهرة. ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٦١ - دلائل الإعجاز. صحح أصله الإمام محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطى. طبع محمد على صبيح. ١٣٨٠هـ.
- ٦٢ - عبدالمتعال الصعدي: النظم الفنى فى القرآن. مكتبة الآداب.
- ٦٣ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح. مكتبة الآداب.
- ٦٤ - عبدالوهاب خلاف: علم أصول الفقه. دار القلم.
- ٦٥ - كمال محمد بشر: علم اللغة العام (الأصوات) - دار المعارف ١٩٧٥م.
- ٦٦ - لبيب سعد: دفاع عن القراءات المتواترة فى مواجهة الطبرى المفسر. دار المعارف ١٩٧٨م.
- ٦٧ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. طبع دار المعارف ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٦٨ - محمد أبوزهرة: أحكام التراكب والمواريث. دار الفكر العربى. ١٩٦٣م.
- ٦٩ - محمد حسين هيكل: حياة محمد - دار المعارف. ١٩٧٧م.
- ٧٠ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة ١٩٧٣م.
- ٧١ - محمد زكى صالح: الترتيب والبيان عن تفصيل آى القرآن. البابى الحلبي. ١٩٥٧م.
- ٧٢ - محمد سيد طنطاوى: تفسير سورة النساء. مطبعة السعادة.
- ٧٣ - محمد فريد وحدى: المصحف المفسر. طبع دار الشعب. بدون تاريخ.
- ٧٤ - محمد على الصابونى: التبيان فى علوم القرآن. دار عمر بن الخطاب. ١٣٩٠هـ.
- ٧٥ - محمد على رزق الخفاجى: علم الفصاحة العربية. دار المعارف. ١٩٧٩م.
- ٧٦ - محمد فؤاد عبدالباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار الشعب.
- ٧٧ - الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسبورى، ت ٢٦١هـ: صحیح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى. عيسى الحلبي. ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- ٧٨ - مصطفى صادق الرافعى: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. دار الكتاب العربى. ١٩٧٣م.
- ٧٩ - ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبدالله: معجم البلدان. طبع بيروت.